رحلات في جمهوريات الموز

بيليز والسلفادور

وحديث عن المسلمين

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

ⓒ محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي، محمد بن ناصر

بيليز والسلفادور - الرياض

ص ، سم

ردمك : x-٤٤٥-٣٩-٩٩٦٠

١ - السلفادور - وصف رحلات أ - العنوان

ديوي ٩٧٢,٨٤ ٢٢/٢١١٤

رقم الايداع : ٢٢/٢١١٤

ردمك : x-٤٤٥-٣٩-٩٩٦٠

مطبعة العلا - هاتف : ٤١٩٤٦٩١ - ٤٨٣٤١٧١

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠)شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض - المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢)بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣)الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤)مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥)جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦)في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧)بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨)بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩)مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠)ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١)كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢)في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣)كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤)ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥)أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩)إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠)أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١)في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢)إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣)حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤)زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥)سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦)راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧)في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨)العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩)في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠)هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١)من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢)بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣)بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤)مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥)تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦)نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧)ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨)نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩)إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت، عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٧٠)في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧١)قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات الكاريبية، مطبعة العلا في الرياض ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٢)مشاهدات في تايلند ، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣)مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية ، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٤)فطاني أو جنوب تايلند ، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥)المستفاد من السفر إلى شاد ، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦)في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٧)شمال شرق الهند ، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٧٨)بلغاريا ومقدونيا ، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٧٩)بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٨٠)بيليز والسلفادور - رحلات في جمهوريات الموز - ، وهو هذا الكتاب.

(٨١)« العودة إلى ما وراء النهر » جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في وكالة ياقوت للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م..

(٨٢)« على سقف العالم » رحلة إلى التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة عام ١٤٢٢هـ.

(٨٣)الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٨٤) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٨٥) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٨٦) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٨٧) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٨) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٨٩) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٩٠) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩١) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٢) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٩٣) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٤) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٥) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٩٦) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٧) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٩٨) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(٩٩) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١٠٠) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠١) واجب المسلم في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١٠٢) " العالم الإسلامي: واقع وتوقعات " نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها

(١٠٣) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته وكالة ياقوت للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٤) ((حِكَمُ العوام))، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٥) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز في الرياض (تحت الطبع) في أربعة أجزاء.

(١٠٦) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

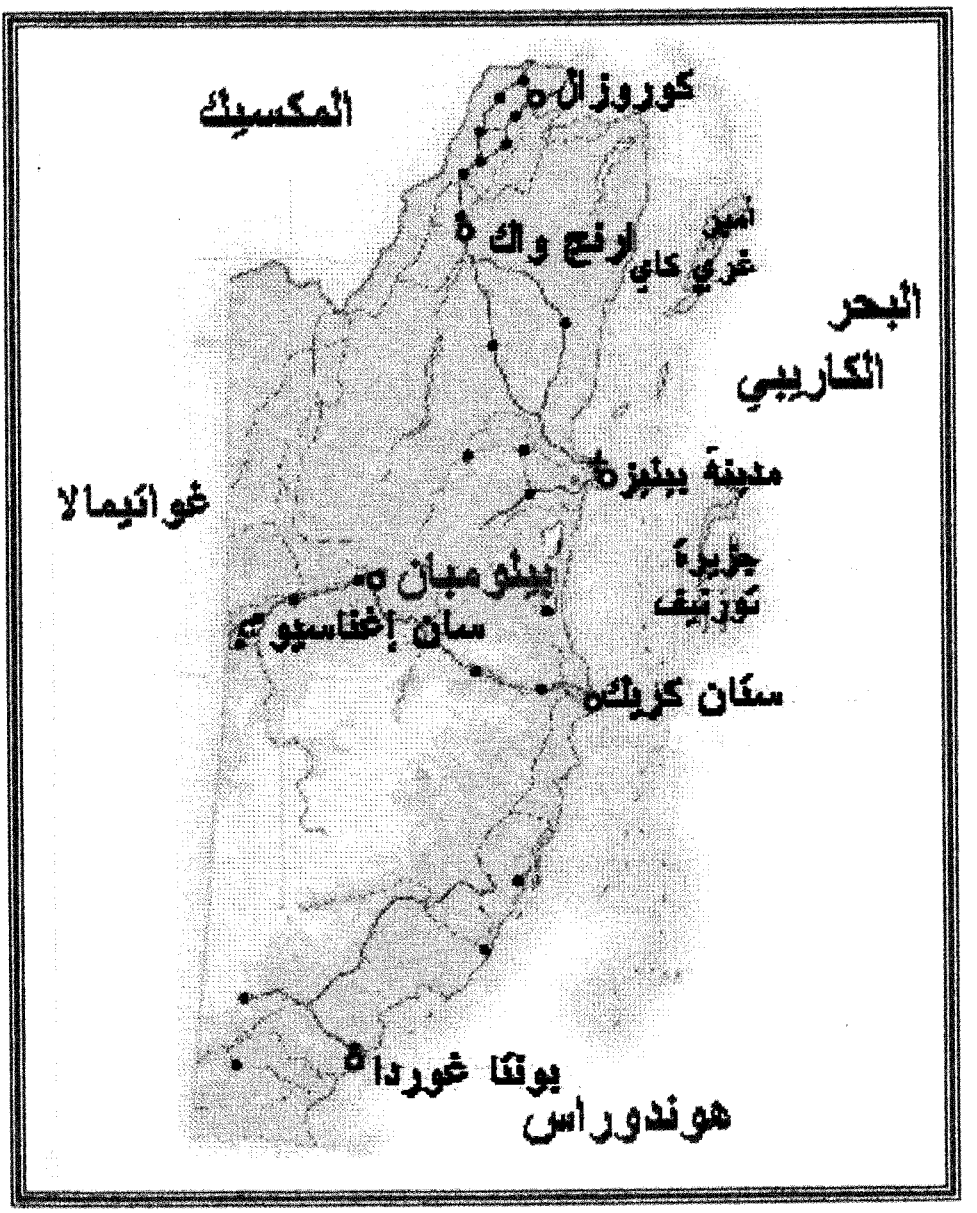
المكسيك
كوروزال
أمبر
غري كاي
أرنج واك
البحر
الكاريبي
مدينة بيليز
غواتيمالا
جزيرة
تورنيف
بيلوموبان
سان إغناسيو
سنان كريك
يونتا غوردا
هوندوراس

بيليز

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ،سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، وعلى أله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإننا في أول السفر إلى أقطار أمريكا الوسطى،كتبنا الحديث عن زيارة المكسيك وقواتيمالا، حيث انتهى بنا القول عند نهاية زيارة قواتيمالا، ونواصل في هذا الكتاب بإذن الله ما كنا وقفنا عنده في الحديث عن الأقطار الأمريكية الأوسطية النائية عن بلادنا نأيين: أولهما البعد الجغرافي، والثاني: البعد الذي نشأ عنه عدم المعرفة بأحوال تلك البلاد بعامة، وعدم المعرفة بشؤون المسلمين فيها خاصة.

وتشترك الأقطار التي سنتحدث عن الرحلة فيها في هذا الكتاب وما بعده إن شاء الله بكونها تسمى (جمهوريات الموز) إيماء إلى أن الحاصل الرئيسي فيها هو الموز.

فلولا ما يجلبه التجار والمستوردون من (هيل) قواتيمالا الذي تشتهر به قهوتنا العربية، لما كان سمع سائر الناس عندنا باسم قواتيمالا على سبيل المثال، مع كونها قطراً رئيسياً في المنطقة، فما بالك بالقطرين اللذين سنتحدث عن زيارتنا لهما في هذه البلاد وهما: (بيليز) و(السلفادور).

إن (بيليز) مجهولة تماماً لعامة المثقفين عندنا، ولا يعرف حتى

المعنيون بمتابعة الدعوة الإسلامية في بلادنا عنها شيئا. وأما السلفادور فإنها كانت مشهورة عندما كانت الحرب فيها مسعورة، وإن كانوا لا يعرفون أن أحد أبطال تلك الحرب هو أحد أبناء العرب الذين ولدوا في تلك البلاد.

كما أنهم لا يعرفون أن للعرب في السلفادور مقاماً مالياً عظيماً، وذكراً مجلجلاً لا يحتاج من يزور تلك البلاد إلى أن يتتبع أخباره، أو يتطلب آثاره، لأنه سيفرض نفسه فرضا، بل ويلح على سمع العربي وبصره إلحاحاً.

ولندع القلم يسير في هذا الكتاب على ما سار عليه في الكتاب الذي قبله، ولك - أيها القارئ الكريم - أن تتبع أثره، أو أن تقطع نظره، فتطبق هذه الصفحات قبل قراءة ما هو آت، فالخيار - في ذلك إليك - والأمر يتوقف عليك، وبالله المستعان وعليه التكلان.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

يوم الأحد: ١٩/ ١٢/ ١٤١٤هـ ٢٩/ ٥/ ١٩٩٤م.

من مطار قواتيمالا إلى مطار السلفادور:

المراد بقواتيمالا العاصمة لأن اسم (قواتيمالا) يشمل الجمهورية، ويشمل العاصمة، ويفرق بينهما بالقول بأن العاصمة مدينة قواتيمالا وبالإسبانية قواتيمالا سويدادي، مثل (قواتيمالا ستي بالإنكليزية)، أما السلفادور فإن المراد به مطار جمهورية السلفادور، وليس عاصمتها (سان سلفادور)، هكذا كتبوا على المطار اسمه (إل سلفادور) - بكسر اللام - وهي أداة التعريف للمذكر المفرد باللغة الإسبانية مثل (أل) بالعربية، إلا أنها تختلف عنها من حيث فتح الهمزة بالعربية وكسرها بالإسبانية.

لذلك نحرص على ذكر (السلفادور) بالتعريف، لأن هذا هو اسمها الرسمي.

ولن ندخل (السلفادور) هذه المرة لأننا عابرون إلى (بيليز)، وإنما ستكون زيارتنا لها بعد زيارة (بيليز)، وحملنا على ذلك عدم وجود طيران مباشر يناسب الوقت من قواتيمالا إلى بيليز.

وكان رفيق الرحلة كلها صديقي الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند، حفظه الله.

كان في وداعنا في مطار قواتيمالا عدد من الإخوة المسلمين في قواتيمالا، منهم الأخ الكريم المهندس (محمد الزهروني) رئيس الجمعية الإسلامية في قواتيمالا، وهو تونسي، يقول: إنه كل التوانسة في هذه البلاد القواتيمالية، فهو لا يعرف فيها تونسياً آخر غيره، والأخ (جمال مبارك) نائب رئيس الجمعية الإسلامية وهو تاجر فلسطيني، والأخ جمال هاشم السوداني من العاملين النشطين في الجمعية، وهو أيضاً كل

السودانيين في قواتيمالا ، فهو لا يعرف فيها سودانياً غيره. والأخ الشاب (عمار مبارك) وهو فلسطيني طالب طب في جامعة قواتيمالا ويعمل نائباً لسكرتير الجمعية الإسلامية.

كان من الأشياء اللافتة للنظر أن موظف الجوازات في المطار عندما رأى جوازي قال: إنه أول جواز سفر سعودي يراه في حياته ، وإنهم لذلك سمحوا للإخوة المودعين بالوصول معنا إلى ما بعد مكاتب الجوازات للتوديع.

وأننا وجدنا في بوابة الخروج التي سنخرج منها إلى الطائرة ورقمها (٤) فتاة لديها قهوة وعصير برتقال وشيء من الكعك اللين (الكيك) تقدم ذلك مجاناً للركاب ، وذلك لقصر المسافة ما بين مطار قواتيمالا ومطار السلفادور ، أو لغرض الدعاية للشركة السلفادورية التي سنطير معها واسمها الرسمي المختصر (تاكا) ، ويعرفونها بأنها شركة الطيران السلفادورية العالمية ، وهي من أحسن خطوط الطيران في المنطقة ، وأكثرها عناية بدقة المواعيد ، واختيار الطائرات الجيدة والصيانة الجيدة.

وعلى ذكر القهوة و(الكيك) والعصير ذكرت طائراتنا السعودية الفخمة وعدد الركاب الكبير الذي يركب فيها ، وكيف أنها لا تقدم شيئاً من الطعام للركاب إلا إذا كان الوقت وقت وجبة من الوجبات ، أما إذا كان الوقت بينهما فإنهم يقتصرون على المشروبات ألاّ في بعض الرحلات.

دخلنا إلى الطائرة والمضيفون واقفون ، وهم عدد من الشبان والشابات أكثرهم في لون العرب ما بين شماليين وجنوبيين ، وقد ارتبت في أحدهم إذ يبدو على البعد كأنما هو بدوي من أهل نجد ، ولكنني ما أن أنعمت النظر فيه حتى عرفت أن النظرة الأولى قد خدعتني ، فهو في لون أهل البدو

عندنا ، ولكن تقاسيم وجهه غير تقاسيم وجوههم.

لم يقم أحد من المضيفين أو المضيفات بإرشاد الركاب إلى أماكن جلوسهم، أو معرفة أرقامهم، ولم يبدوا أية عناية بهم.

أما الطائرة فإنها من طراز بوينغ (٧٦٧) وهو طراز كان جديداً قبل أربع سنوات، وذهبت جدته الآن إلا بالنسبة إلى النماذج القديمة من (٧٣٧ و٧٠٧) التي صنعتها بوينغ .

والركاب كثر في الطائرة، إلا أن أماكن عديدة من مقاعدها ظلت خالية.

الركاب بمجملهم من سكان أمريكا الوسطى الذين يسمون بالمستيسوس، وهم أنسال الأوربيين الجنوبيين الذين قد يسمون باللاتينيين نسبة إلى لغاتهم المتفرعة من اللغة اللاتينية، وليس لكونهم من ذرية اللاتينيين، وقد اختلط هؤلاء بالسكان الأمريكيين الأصلاء الذين كانوا موجودين في البلاد قبل أن يحتلها الأوروبيون.

وكان هذا الاختلاط في وقت مبكر من عهود الاستعمار ولأجيال عدة لذلك اكتسبوا طابعاً خاصاً صار من حيث اللون أشبه بلون العرب، ومن حيث التقاسيم غير ذلك.

ومن أهل أمريكا الوسطى طائفة كبيرة من السكان الأصلاء الخلص الذين يسمون بالهنود الأمريكيين الذين حافظوا على نقائهم، بسبب عيشهم في الأرياف أو أماكن نائية، ويتميزون بلون أسمر ولكنه لا يصل إلى السواد، فهم في ألوان العرب الجنوبيين، إلا أن تقاطيع أجسامهم، وتقاسيم وجوههم لها طابع خاص متميز، يتمثل في الوجوه المنتفخة، والرقاب القصيرة، والعيون الضيقة، مع الصدور والأرداف البارزة بالنسبة إلى النساء، والبطون البارزة بالنسبة للرجال.

ولا يرى السائح العربي جمالاً في مثل هذه التقاسيم، أو هذا هو ما يشعر به بالنسبة إلى ما يراه في وجه الأوربيين وسكان الشرق العربي.

أما السود سواد الإفريقيين، وسواد الجزر المعروفة في جنوب المحيط الهادئ كجزر سليمان وجزر نيوكلدونيا وأهل (بابوا نيو غني)، فإنهم غير موجودين إلا أعداداً قليلة جاءت إليهم منتقلة من جزر البحر الكاريبي المجاورة التي جلب إليها المستعمرون هؤلاء الإفريقيين عبيداً أرقاء، لكي يعملوا في مزارع قصب السكر وغيرها من الأعمال الشاقة، فبقوا في المنطقة وكونوا لهم أكثريات فيها مثل جامايكا وهاييتي، وجماعات بارزة تبلغ النصف من السكان، أو تكاد في مثل ترينداد وغيانا البريطانية وسورينام. وكذلك البيض الخلص بياض الأوروبيين هم قليل فيهم أيضاً، وهناك أناس وأشخاص بين من ذكرتهم ليس لهم طابع، وإنما نشؤوا نتيجة الفوضى في الاختلاط بالزواج وغيره في هذه المنطقة. ويغلب على هؤلاء طابع البساطة وعدم الشعور بما يفتخر به الآخرون.

لم يكن في هذه الطائرة على ضخامتها درجة أولى، بل كل مقاعدها من درجة سياحية، وكان مكتب الخطوط في مكة المكرمة قد أخبرنا أن خطوط الطيران بين أقطار أمريكا الوسطى ليست فيه درجة أولى لذلك قطعنا تذاكرنا فيها على الدرجة السياحية.

قامت الطائرة في السابعة والربع من هذا الصباح، وكان موعدها المقرر السابعة، غير أن تأخير ربع ساعة صار أمراً معتاداً في إقلاع الطائرات.

وكان الإعلان باللغة الإسبانية وحدها، وبسرعة شديدة بحيث لا يستطيع من يكون مثلي يعرف معنى كلمات محدودة من الإسبانية أن يتابع ذلك، وإلا لكنت عرفت مثلاً مدة الطيران و التوقيت المحلي لكوني

أعرف معنى ذلك بالإسبانية.

الغابة الخضراء:

لقد استمتعت بالطيران في وقت النهار، لأنني قدمت إلى قواتيمالا في الليل، فلم أرَ من المدينة وما حولها شيئاً، وكان من أول المشاهد رؤية مدارج المطار وقد حفتها أعشاب كأعشاب الربيع في الصحراء إذا كانت قد أصابها مطر جود قبل ذلك، لأن موسم الأمطار في المنطقة قد حل قبل أيام قلائل، لذلك اخضرت أرضهم مع أن المطر لا يقاطعها طويلاً طول السنة، ولكن لا يكون غزيراً مستمراً كما يكون في أوقات الموسم الممطر.

وتطالعك الجبال الخضر وأنت في المطار، قبل أن تقلع الطائرة، وهذه الجبال الخضر تحيط بالجو الفسيح الذي تقع فيه العاصمة قواتيمالا ولكنها لا تحاصرها، بل تفسح لها حتى إنها توسعت حتى صار عدد سكانها مليونين ونصفاً، ولم يتضايقوا من موقعها.

على أن الأرض التي تقع فيها المدينة بين هذه الجبال الخضر، بل السود من شدة الاخضرار هي خضراء، يقع فيها البصر على مساحات خضر عديدة من أي اتجاه اتجه بصرك إليها، مما جعلني أتذكر ما عرفته من أن اسمها (قواتيمالا) معناه في لغة المايا (الغابة الخضراء)، فهي بالفعل كانت غابة خضراء، إلا أنها صارت الآن غابة بل غابات من الأبنية غير العالية، يمنع أهلها من علو المساكن كونها منطقة زلازل لا بد من تحمل نفقات كبيرة إضافية للأبنية العالية المقاومة للزلازل، لذلك اعتاد أهلها على عدم رفع منازلهم لأكثر من طابق أو طابقين، إلا في داخل المدينة حيث تكون الأبنية أعلى من ذلك، ولكن إلى درجة معينة.

من ذلك أن الإخوة المسلمين أعضاء الجمعية الإسلامية القواتيمالية اشتروا منزلاً قديماً ليجعلوه مسجداً، ولكنهم هدموه لكي يعيدوا بناءه

بناء قوياً مقاوما ًللزلازل .

وعندما نهضت الطائرة من المطار تجلت روعة المناظر الخضر، وبدت مدينة (قواتيمالا العاصمة) ممتدة المساحة، متسعة النواحي.

وقد دخلت الطائرة في حصار من السحاب تحته سحاب أسود البطون كما نراه حينما كنا على الأرض أبيض الظهور عندما علونا فوقه، ولكنه كان يوجد سحاب آخر أعلى منه، وقد منعني وجود هذا السحاب من التمتع بمنظر الأرض لفترة أعلنوا فيها إطفاء إشارة ربط الحزام .

ثم انفرج السحاب عن منظر جليل، بل هائل لأنه منظر الجبال الممتدة إلى أقصى مدى يدركه البصر من الطائرة، وهي خضراء رائعة الجمال كأنها زرعت في الأرض كيفما اتفق، لذلك لم تتخذ شكلاً مستطيلاً كشكل الحائط، بل إنها ليست لها أشكال هندسية محددة، وإنما هي تبدو مكومة تكويماً لا تدري أهي متصلة فيما بينها أم منفصلة.

والصفة الجامعة هي هذا الاخضرار البالغ، والسبب في ذلك أنها مثل أكثر أمريكا الوسطى واقعة بين بحرين عظيمين، أحدهما المحيط الهادئ الذي يحدها من جهة الغرب، والثاني المحيط الأطلسي من جهة الشرق، وإن كانت المياه التي تحدها من جهة الشرق مسماة بالبحر الكاريبي - نسبة إلى أقوام من سكانه الأصلاء الذين كانوا موجودين عندما وصله المستكشفون الأوروبيون يقال لهم الكاريب فنسب البحر إليهم - مع أنه متصل المياه بالمحيط الأطلسي، بل إن مياهه جزء منه .

جاؤوا بالضيافة وهي شراب بارد خفيف ليس معه غيره لقصر الرحلة.

أسرعت الطائرة في تخفيف محركاتها وهي تتدلى بهدوء فوق أرض جبلية غاية في الاخضرار حتى إنني رأيتها أكثر خضرة من جبال قواتيمالا على خضرتها، مع أن البلدين متجاوران لا تستغرق المسافة بين عاصمتيهما

بالسيارة أكثر من ساعتين ونصف.

وحقرت تسمية العراق بأرض السواد، وقلت: أين هو من هذه الخضرة العجيبة التي شملت الجبال والهضاب والربى والوديان، لا تختلف في خضرتها عن الجبال، ولا شك أن الذين سموا العراق بأرض السواد هم من بني قومنا الذين قدموا إلى العراق من نجد، وهي ما هي في الاغبرار، والبعد عن الاخضرار، وإلا لما أسموها بذلك، تماماً مثلما قلت عند ما كنت أتمتع بنسيم لبنان لأول مرة قبل أربعين سنة، فقلت: الذين وصفوا نسمات نجد لم يتنسموا نسيم لبنان، ولذلك قال قائلهم:

ألا يا حبذا نفحات نجد ... وريَّا روضه غِبَّ القطار
وأهلك إذْ يحل الحيُّ نجداً ... وأنت على زمانك غير زاري
شهور ينقضين وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

غير أني عندما زرت العراق لأول مرة في عام ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ولفحني سموم بغداد، وومد البصرة، ثم خرجت بالسيارة إلى نجد فلقيني نسيمها الحنون البارد الجاف عذرت بني قومنا في مدح صبا نجد وقلت: والله إنهم لمقصرون في مدحه. وهكذا أكثر الأشياء هي نسبية، والضد يظهر حسنه الضد، كما يقول المثل.

ولاحظت أن الأرض الجبلية الخضر أكثر سفوحها مزروعة إلى جانب زراعة الوديان التي توجد فيها بيوت ريفية، ولكن ليس فيها مدن أو قرى كبيرة مما نراه من الطائرة في هذا الموضع.

وتذكرت رخص الفواكه والخضرات في سوق قواتيمالا كما رأيتها أمس، وقد ذكرت ذلك في كتاب: « المكسيك وقواتيمالا ». وقلت: لو كانت مثل هذه الأراضي عندنا لكانت الفواكه والخضرات لا تجد من

يشتريها ، لأن الخضرات التي نزرعها في أرضنا الصحراوية هي رخيصة ولله الحمد ، بل هي أرخص مما هي عليه من الأسعار في بلاد الأمطار والأنهار.

البحيرة الخضراء:

من العجيب أن تكون البحيرة خضراء في عين الناظر إليها ، ذلك بأنها واقعة في حومة بين الجبال الخضر الخصبة ، فهي إذاً بحيرة من الماء العذب وليست من الماء الملح ، ومع ذلك تبدو خضراء ، وذلك لكون الجبال الخضر والسماء الخالية من الغيم لحسن حظنا تنعكس على مائها الرقراق ، فتجعله ينسجم مع ضفافها التي هي من لون اللازورد ، واسمها بحيرة كوتي بيكي.

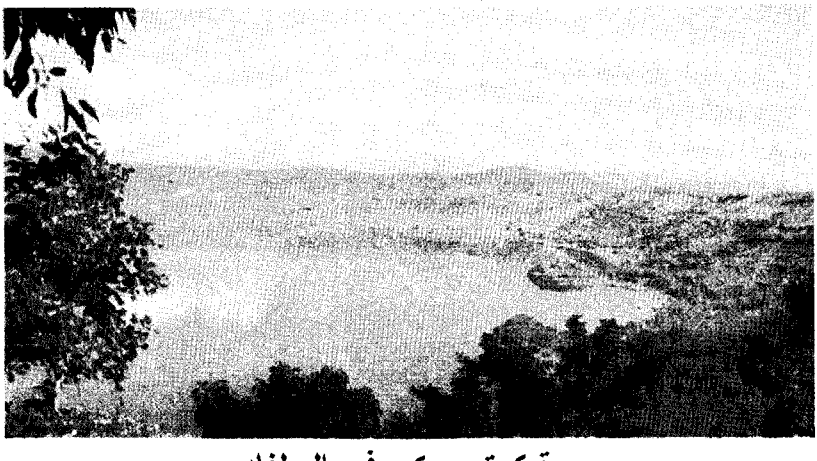

بحيرة كوتي بيكي في السلفادور

وهذه البحيرة تنهض بين الجبال الخضر التي تكرع في مائها حتى تعانق السحاب في منظر عجيب لا تستطيع معه إلا أن تقول: إنه منظر مهيب ، وسبحان الذي إذا أعطى أكثر ، كما يقول العوام .

وقد تصورت ما قرأته من كون قواتيمالا والسلفادور تصدر مقادير كبيرة من الأخشاب لوفرة الغابات التي أراها فيها الآن .

وتوالى تدني الطائرة وهي تتدلى قاصدة (مطار السلفادور)، فتنحت الجبال العالية، وظهرت تلال جبلية متطامنة تنطلق من أقدام هذه الجبال، ثم شريط ساحلي أخضر لا يستطيع البصر تمييز خضرته من خضرة البحر المحيط الذي يقع عليه على البعد، لولا زبد الأمواج التي تدفعها الرياح من غير ارتفاع شديد.

والمراد بالمحيط هنا المحيط الهادئ الذي يقع جهة الشرق من بلادنا، ولكنه يقع جهة الغرب من أمريكا الوسطى للبعد الشديد ما بينها وبين بلادنا، ويكفي أن تعرف أن الفرق في التوقيت ما بين بلادنا وبينها هو تسع ساعات، فإذا طلعت الشمس علينا فإنها تحتاج إلى تسع ساعات بعد ذلك حتى تشرق عليهم.

وهذا السهل والربى المتطامنة التي تتناثر فيه هي على غاية من الخضرة والخصب، مع ذلك رأينا نهراً أحمر المياه يغذ السير قادماً من هذه الجبال الخضر إلى البحر المحيط الهادئ لا يلوي على شيء، وكأنما هو يطلب شيئاً يسعى حثيثاً في طلبه، وهو في الحقيقة يطلب أن يعود إلى منبعه، أو لنقل إلى مبعثه البحر الذي كان السحاب الذي أسال هذا النهر من مياهه هو بخار من بخار المحيط العظيم تكاثف على هيئة سحاب في هذه البلاد القريبة من خط الاستواء.

وما كاد عجبي وتأملي ينقضي لحالة هذا النهر والطائرة تمعن في طيرانها وإن كانت متمهلة، حتى رأيت في هذا الجو الندي نهراً آخر أحمر المياه، ثم تلاه ثالث فرابع، وكلها تسرع قاصدة البحر المحيط.

ولا شك في أن الغابات والمزروعات الموجودة في المنطقة لا تستعمل من مياهها شيئاً، لأنها منطقة خصبة مطيرة لا يحتاج ما يزرع فيها إلى سقي.

ثم أسهلت الطائرة بمعنى أنها صارت تطير فوق سهل يمتد من ساحل

المحيط إلى مسافة غير واسعة قبل أن تحده هذه الربى التي تقع خلفها الجبال الشاهقة.

وقد صارت الزراعة في السهل حقولاً نضرة شاملة، ورأيتهم يحددون الأراضي التي تقع فيها الحقول بحدود من الأشجار، فتراها تحدد الأراضي أو الحقول بشكل ظاهر.

ذكريات من مطار السلفادور:

كنت هبطت قبل هذه المرة مرة واحدة مضى عليها ١٢ عاما عندما قدمت إليها من كوستاريكا التي تقع جهة الجنوب من السلفادور، وكان مقعدي آنذاك عند نافذة الطائرة اليسرى، وهي التي ترى منها ساحل المحيط الهادئ، فلم أكن أرى هذه الجبال الخضر الرائعة، كما كانت الحرب الأهلية التي أسماها بعضهم بالحرب الشعبية مشتعلة الأوار آنذاك، فكانت الأخبار تتوارد عن عدد القتلى والجرحى كل يوم في وسائل الأعلام مما يصد المرء عن التفكير بزيارتها، بل إن مجرد الهبوط في مطارها كان مبعث خوف وفزع لبعض الناس.

وكنت عابراً من (كوستا ريكا) إلى (لوس أنجلوس) عن طريق مدينة المكسيك، وقد ذكرت تلك الرحلة في كتاب « رحلات في أمريكا الوسطى » الذي طبع قبل عشر سنوات:

بين يدي بيليز

اعتدت في كتب الرحلات التي ألفتها أن أذكر معلومات ملخصة عن البلاد التي أقدم إليها، تكون في مقدمة الحديث عنها، وأحياناً في المؤخرة، ولما كانت بيليز غير معروفة للقراء العرب، آثرت تقديم هذه المعلومات عنها بين يدي الحديث المشتمل على المشاهدات، وما يتعلق بها مما سمعته أو لاحظته فيها.

ولا شك أنها لا تشتمل على كل ما تنبغي معرفته عن بيليز، وإنما يكتمل ذلك أو أكثره في ذاكرته هنا مقروناً بما ذكرته في اليوميات داخل الكتاب.

وعلى أية حال فان هذا الكتاب رحلة ووصف للمشاهدات، وحشد المعلومات فيه ليس مقصوداً بالذات، فتلك لها ميادين أخرى في كتب هي بها أحرى.

موقعها:

تقع بليز في منطقة أمريكا الوسطى مما يلي البحر الكاريبي، تحد من الشمال وجزء من الغرب بدولة المكسيك، ومن الجنوب والجزء الباقي من الغرب جمهورية قوا تيمالا، وبقية و بقية حدودها واقعة على البحر، وساحلها عميق محاط بسلسلة صخرية مرجانية، وكانت تسمى (هندوراس البريطانية).

لمحة تاريخية:

كان يسكن ارض بيليز أقوام ينتمون إلى(المايا) من الجماعات الأمريكية في منطقة أمريكا الوسطى التي أنشأت لها حضارة خاصة مستقلة بنفسها بمعزل عن حضارات العالم القديم.

وكان أول تاريخ معروف لسكناهم في المنطقة منذ ألف سنة قبل

ميلاد المسيح عليه السلام.

وقد امتد زمن حضارتهم من عام ٣٠٠ قبل الميلاد حتى عام ٩٠٠ بعد الميلاد.

ثم اضمحلت حضارتهم، كما هاجر من منطقة بيليز أغلب السكان.

وفي سنة ١٥٠٢م وصل المستكشف الشهير كريستوفر كولومبس إلى خليج هندوراس، حيث أبحر في الخليج ولكنه لم يزر موضع بيليز.

أما أول سجل لاستقرار أناس من الأوروبيين في بيليز فإنه كان في عام ١٦٣٨م، حيث استقر بها بعض أرباب السفن التي تحطمت في المنطقة، ولم يكن بالإمكان إصلاحها، إذ لم تكن تتوفر فيها حضارة ولم ينقل إليها الأوروبيون ما يمكنهم من ذلك.

ثم جاء الجنود البريطانيون في سنة ١٦٥٥م، وكانت أعمالهم الرئيسية تتمثل في قطع الأخشاب الضخمة التي كانت تستعمل لإنتاج الأصباغ.

واستمر الأمر كذلك لمدة ١٥٠ سنة تقريباً، وقد اتسمت هذه السنون المائة والخمسون بوقوع هجمات على البريطانيين من جيرانهم المستعمرين الإسبان الموجودين في الأقطار أمريكا الوسطى، حتى عقدت بين بريطانيا وإسبانيا معاهدة عرفت بمعاهدة باريس، سمحت للبريطانيين أن يستمروا في قطع الأخشاب.

وقد تأكدت هذه المعاهدة بمعاهدة فرساي في سنة ١٧٨٣م.

ومع ذلك استمرت المناوشات في هذه المنطقة بين البريطانيين والإسبان حتى عام ١٧٩٨م، وفي عام ١٨٦٢م أعلنت هندوراس البريطانية التي سميت

بعد ذلك باسم بيليز مستعمرة بريطانية.

قدوم العبيد:

بدأت فترة جلب العبيد الإفريقيين إلى بيليز، وأول سجل لذلك كان في ١٧٢٤م حيث جلبت مجموعة منهم من جامايكا وبرمودا، اللتين كانتا قد تلقتا مجموعة من العبيد المنهوبين من القارة الإفريقية.

وقد بينت السجلات التاريخية أن بعض العبيد أولئك كانوا يسمون محمدانيين، ولم يكونوا يشربون النبيذ، ولا يأكلون لحم الخنزير، وربما كانوا مسلمين من نجيريا.

الوضع الدستوري لبيليز:

لقد حكم المستوطنون في بليز من البريطانيين ومحكوميهم أنفسهم أول الامر بطريقة ديمقراطية بدائية، بواسطة اجتماعات عامة، وشورى غير مقننة، إلى ان تم في سنة ١٧٦٥م وضع دستور للبلاد على أساس هذا المبدا.

وقد استمر العمل بذلك إلى سنة ١٨٤٠م عندما تم إنشاء مجلس تمثيلي.

وفي عام ١٨٥٣م استبدلت الاجتماعات العامة بمجلس تشريعي لسن القانون للبلاد، وكان المندوب السامي البريطاني هو رئيس المجلس.

وعندما أصبحت هندوراس البريطانية (بيليز) مستعمرة بريطانية من الناحية القانونية في عام ١٨٦٢م تم استبدال المندوب السامي بنائب حاكم، تحت وصاية حكم حاكم جامايكا فأدخل نظام مستعمرات التاج البريطاني في سنة ١٨٧١م.

ثم استبدل المجلس التشريعي المعين بمجلس تمثيلي منتخب.

وقد استمر هذا الدستور إلى عام ١٩٢٥ عندما أدخل مبدا الترشيح والانتخاب على أساس التصويت، وثم بعد ذلك إضافة تطور دستوري مع إدخال مبدأ اشتراك المواطنين الشامل في التصويت.

العمل السياسي والحكومي:

تقوم حكومة بيليز على النظام البرلماني الديمقراطي الذي يرتكز إلى ما هو معمول به في (البرلمان) الإنكليزي، الذي يقوم على أن البلاد ملكية ديمقراطية، وأن رئيس الوزراء وأعضاء حكومته يمثلون الجهاز التنفيذي في الدولة.

ويتالف مجلس النواب في بيليز من (٢٨) عضواً منتخبين إضافة إلى ثمانية أعضاء يؤلفون مجلس الأعيان أو الشيوخ، ويكون الجميع مجلساً تشريعياً مشتركاً.

وتعتبر الملكة إليزابيث الثانية رأس الدولة، يمثلها في بيليز حاكم عام يجب أن يكون بيليزي الأصل.

وتتألف الحكومة من رئيس الوزراء والوزراء الذين يتم تعيينهم من قبل الحاكم العام، بناء على توصية رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الوزراء وهو الشخص الذي يفوز بمساندة الأغلبية للحزب في مجلس النواب.

وتجري الانتخابات في البلاد كل خمس سنوات، وأحدث انتخابات جرت كانت في سبتمبر عام ١٩٨٩م: حيث فاز فيها حزب الشعب المتحد، إذ حصل على ١٥ مقعداً من المقاعد الثمانية والعشرين في مجلس النواب.

أما بقية المقاعد في مجلس النواب فقد فاز بها الحزب الديمقراطي المتحد.

ويوجد في بيليز حزبان رئيسيان هما اللذان ذكرناهما، ثم تألف

حديثاً حزب ثالث اسمه (حزب المعاهدة الوطنية لحقوق البيليزيين).

وقد حكم حزب الشعب المتحد البلاد من عام ١٩٥٤ إلى عام ١٩٨٤ والحزب الديمقراطي من عام ١٩٨٤ إلى عام ١٩٨٩م.

ورئيس الوزراء الحالي هو من حزب الشعب المتحد واسمه (جورج كارل برايس).

العلاقات مع الدول الإسلامية:

لبيليز علاقات دبلوماسية بمعنى وجود تمثيل لها في دولة الإمارات العربية المتحدة و الباكستان والكويت وإيران ولبنان، ولكن لا توجد سفارات ولا ممثليات ولا حتى قناصل لتلك الدول في بيليز إلا للبنان، حيث يوجد له قنصل فخري عام.

و إنما يمثل سفراء الدول المذكورة بلادهم في بلاد قريبة من بيليز، ولكنهم يجرون اتصالات دبلوماسية مع حكومة بيليز حيث يزورونها في فترات معينة.

هذا وقد كانت البلاد تعرف - كما تقدم - باسم هندوراس البريطانية، فتم تغيير ذلك رسمياً إلى اسم (بيليز) في عام ١٩٧٣م.

ثم نالت البلاد استقلالها من بريطانيا، وأعلنت دولة مستقلة في ٢١ سبتمبر عام ١٩٨١م.

السكان في بيليز:

يبلغ عدد سكان بيليز في الوقت الحاضر ٢٩٥ ألف نسمة.

ويسكن منهم ٦٥ ألف نسمة في مدينة بيليز.

وتبلغ مساحتها مع أراضي الجزر التي تتبعهااثنين وثلاثين ألف كيلو

متر مربع، أي ما يزيد على أكثر من ثلاثة أضعاف مساحة لبنان، على حين أن عدد السكان فيها يعادل نحو ١٠٪ من عدد سكان لبنان.

ولذلك تعتبر بيليز بلداً قليل السكان، إلا أن هذه المقارنة مع سكان لبنان لا تصلح أن تكون قياساً مجرداً لأن نشاط اللبنانيين في الحصول على المال، وحركتهم في الأعمال التجارية لا تقارن بنشاط سكان بيليز في هذا المجال.

ويتألف سكان بيليز في معظمهم من الإفريقيين السود الذين جلبوا إبان تجارة الرقيق إلى منطقة البحر الكاريبي، ثم نقلوا من هناك إلى بيليز- وتبلغ نسبتهم فيها نحو ٨٠٪.

ولذلك يشعر المرء الذي يصل مدينة بيليز أنه في أحد أقطار إفريقية المزدهرة التي يكون فيها في الغالب أقليات من ذوي الألوان المتغايرة.

والأمر كذلك في بيليز إذْ يوجد ١٠٪ من المختلطين، فيهم قلة قليلة من ذوي الأصول الهندية الأمريكية الذين هم سكان المنطقة الأصلاء قبل وصول المستكشفين الأوروبيين إليها، إلى جانب ١٠ ٪ من البيض، وفيهم العرب الذين يصنفون مع البيض ليس بجامع اللون فقط، وإنما بسبب طبيعة العمل ومستوى المعيشة.

وكثير من البيض يعتبرون في الوقت الحاضر من الأجانب أي أنهم ليسوا من المتمتعين بالجنسية البيليزية، وليسوا من المولودين في البلاد.

وهناك أعداد ضئيلة من الهنود الشرقيين، أي الآسيويين الذين قدموا للتجارة، وأقلية أيضاً من الصينيين التايوانيين الذين يملكون أموالاً للاستثمار في بيليز.

العرب في بيليز:

يبلغ عدد العرب في بيليز نحو خمسة آلاف نسمة، يتألف أكثرهم من مسيحيين: فلسطينيين ولبنانيين، وقد وصل أوائلهم إلى بيليز في وقت مبكر من هجرة العرب إلى أمريكا الوسطى، ولذلك يوجد الجيل الثاني منهم، وقد أصبح أكثرهم يتبوؤون مراكز جيدة في الإدارة والأعمال التجارية.

وكنت قيدت أسماء العرب الذين تولوا مناصب مهمة في هذه البلاد في ورقة فقدت مني.

صورة تذكارية في شارع البرت في مدينة بيليز مع الأخوين العربيين ناصر أحمد دياب وحسن محمد السيد، والشيخ عبد العزيز المسند

وقد فقد أكثر أبناء الجيل الثاني من العرب لغتهم، فصاروا لا يعرفون إلا الإنكليزية اللغة الرسمية في البلاد، إلى جانب اللغة الإسبانية أو

شيء منها لكونها لغة المنطقة التي تقع فيها بيليز (منطقة أمريكا الوسطى).

أما المسلمون العرب فلا يزيد عددهم في الوقت الحاضر على ١٢٠ نسمة، ولكنهم يملكون من المال ويتصرفون في الأعمال التجارية بما يفوق نسبتهم العددية بكثير، وقد أشرت إلى شيء من ذلك في اليوميات، وبخاصة في حال واحد منهم وهو الأخ عبد الناصر حمزة الذي يعتبر الآن من الناشطين في الجماعة الإسلامية في بيليز التي تتألف في معظمها من الإخوة المسلمين ذوي الأصول الإفريقية تحت زعامة أو إمرة الشيخ كليم الأمين كما يسمونه.

المسلمون في بيليز:

دخل الإسلام إلى بيليز دخولاً واضحاً في وقت متأخر، ربما لا يتعدى ثلاثين سنة مضت، وقد أخبرني الأخ كليم الأمين أمير الجماعة المسلمة في بيليز أنه لم يكن يعرف عن الإسلام شيئاً، بل لم يكن قد سمع بالديانة الإسلامية قبل أن يتم له من العمر ٢٤سنة، وما إن دخل إلى الإسلام نفر قلائل من الإخوة المسلمين من ذوي الأصول الإفريقية الذين كانوا في أمريكا حتى سارع إلى الدخول فيه نفر من أهل البلاد، ولكنهم لم تكن تتوافر لهم المؤسسات الإسلامية كالمدارس، بل وحتى المساجد فضلاً عن الكتب والمحاضرات والندوات التي تبحث في الإسلام، وإلا لو توفر ذلك لكان عدد الداخلين في الإسلام أكثر، ولكان وجودهم أعظم.

وقد تكلمت في مواضع متفرقة من اليوميات في بيليز عن ذلك، ولكنني أحببت أن يكون في هذه المقدمة شيء مجمل يتناول دخول الإسلام إلى هذه البلاد، فرأيت أن أخانا الشيخ كليم الأمين هو أولى من يعبر عن ذلك لمعرفته به أكثر من غيره، ولكونه عاصر دخول الإسلام وما

زال يعايش الحركة الإسلامية في هذه البلاد، لذلك طلبت منه أن يكتب لي كلمة عن ذلك فكتب ما يلي بالعربية، وقد نقلته كما كتبه بأسلوبه الخاص، لم أغير منه إلا ما كان يستحق التغيير كالمنصوب بدل المرفوع أو العكس: قال:

دخول الإسلام:

الدراسات والبحوث التاريخية الحديثة تظهر أن المسلمين من إفريقيا وإسبانيا كانت لهم اتصالات مع الأمريكيين قبل كولومبس، في البرازيل أمريكا الجنوبية كان يوجد حركة إسلامية في هندوراس المامى أو الامامو كانوا مسلمين، وكذلك في بيليز هناك حقائق تبين تأثير الإسلام قبل كولومبس.

قوم الغاريفنا الحاليون كذلك يعرفون باخالفنا أو خاليفتنا، والتي يمكن أن تعني خليفة نبي، حتى سنة ١٩٨٠ جميع نساء الغاريفنا كن يرتدين لباساً كلباس المراة المسلمة، ولم يأكلوا لحم الخنزير حتى تاريخ قريب وحديث. بحوث أزيد يجب في هذا المجال.

في الأربعينات هاجر بعض التجار الفلسطينيين واللبنانيين إلى بيليز ومع ذلك لم ينشئوا فيها فعاليات إسلامية.

وفي سنة ١٩٦١م أبعد شارلز إيجان الذي يسمى الآن إبراهيم عبد الله من الولايات المتحدة الأمريكية، وبدأ تعليم الإسلام كما تعلمه في السجن في أمريكا، وكان يدعي أنه من أتباع إيليجا محمد رئيس أمة الإسلام في أمريكا في ذلك الوقت، ولم يكن موفقاً جيداً في دعوته، في سنة ١٩٧٠م رجع بيليزي آخر اسمه نوري محمد كان يدرس في جامعة شيكاغو، بعدها تم تعيينه كوزير لـ علي جاه محمد. وكان أكثر نجاحاً في دعوته، حيث بدأت الأمة الإسلامية تنتشر بسرعة في بيليز، وتم فتح مكان لعبادة

الله سبحانه وتعالى بمثابة جامع، وقاموا بفتح المحال حرة عديدة صغيرة الحجم.

بعد وفاة علي جاه محمد في سنة ١٩٧٥م قام ابنه بنشر تعاليم الإسلام مقرباً المسلمين إلى تعاليم القرآن والسنة، ففي سنة ١٩٧٧م أصبحت جماعة الإسلام مستقلة، وأسست نفسها ضمن قوانين بيليز، وتم تسميتها (البعثة) أو الإرسالية الإسلامية في بيليز، والتي يحكمها تعاليم القرآن والسنة.

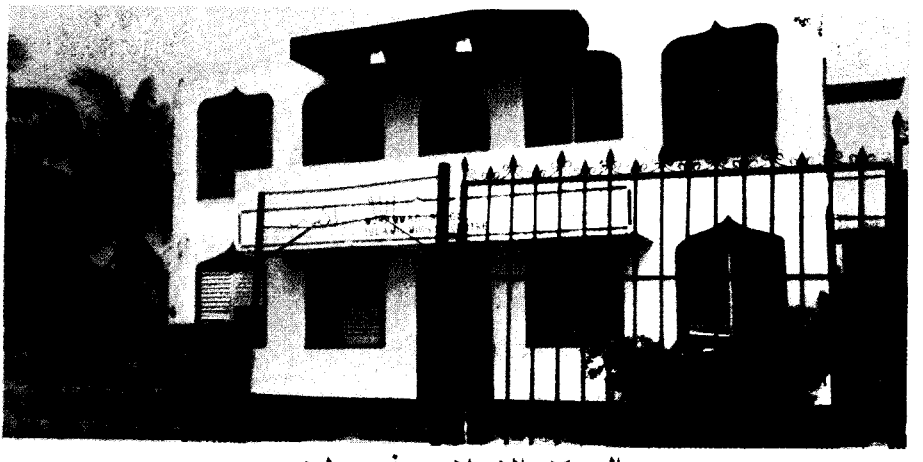

المركز الإسلامي في بيليز

وبين سنة ١٩٧٧م - ١٩٨٤ تم استئجار عدة بنايات لاستعمالها كمسجد مع روضة أطفال للأطفال المسلمين، ونتيجة لاتصالات التي جرت مع العالم العربي والإسلامي أعطيت منحة دراسية إلى كليم الأمين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فسافر إلى الرياض في سنة ١٩٨١م للدراسة في المملكة العربية السعودية.

وفي سنة ١٩٨٣م جمع مبلغ (٥٠٠٠٠) دولار أمريكي التي سلمت إلى الإمام نوري محمد، وتم استخدامها في بناء الطابق الأول من المركز الإسلامي الحالي، والذي يضم مدرسة ومسجداً، الطابق الأول استكمل في سنة ١٩٨٤م، وأغلب الطابق الثاني تم إنشاؤه في سنة ١٩٩٢م، ولكن لا

يـزال هنـاك أعمـال إضافيـة يتبقـى اسـتكمالها في هـذه البنايـة الـتي هـي مملوكة كلياً للإرسالية الإسلامية .

والعدد الكلي للمسلمين في بليز هو تقريبا(١٠٠٠)مسلم، متوزعين في جميع أنحاء البلاد ، ويعيش أغلب المسلمين في مدينة بيليز، حوالي ٥٠٪ منهم هم بليزيون، و٣٠ ٪ عرب، وبقية الـ٢٠٪ هم إفريقيون، إسبان، باكستانيون، وأقليات أخرى، حوالي ٦٠٪ من المسلمين هم أعضاء كاملون في الإرسالية الإسلامية، والباقون إما أعضاء مشتركون أو مساندون.

وهناك جماعة أخرى غير مسجلة قانونياً، وليس لديهم مسجد دائمي أو مركز، هي جماعة عباد الله، وأسست في هذه السنة ١٤١٣ هـ.

وجماعة اسمها مجتمع المدينة الحديثة التي أسست قبل سنتين، يوجد ثلاثة أشخاص يزعمون أنهم من الشيعة.

لا يوجد نزاع مفتوح بين أي من هذه الجماعات في الوقت الحاضر، الكل كان عضواً في الإرسالية الإسلامية في وقت ما ، ولكن بالنظر لبعض المحليات وجدوا ضرورة لبدء جماعة في مجالهم.

الدرج الذي يصعد به إلى المسجد في الطابق الثاني وتحته المدرسة

الفعاليات الإسلامية:

الفعاليات الرئيسيةِ للمسلمين تتضمن دروساً يومية للغة العربية والقرآن الكريم في الدراسة الصباحية والمسائية، وكذلك الطلاب يتلقون دورة في تعاليم الإسلام الأساسية.

هنالك برنامج أسبوعي في الراديو مع محاضرات لجمال بدوي، وثاني برنامج في الراديو يناقش عدة مشاكل اجتماعية، وخاصة المشاكل النسائية، ثلاث أو أربع مرات كل سنة تقام اجتماعات ومؤتمرات تنظم في مختلف أنحاء البلاد، ويتم دعوة علماء دوليين معروفين إليها مثل عبد الله حكيم كويك، بلال فيلبس و آخرين.

وقد تم فتح مسجدين، حيث تم إيجارهما في مدينتي بل موبان العاصمة ومدينة دانجريغا، ولكن اضطر لإغلاقهما لنقص التمويل اللازم، والإمام كليم الامين وعمر حسن هما إماما الإرسالية الإسلامية، والإمام عمر شباز هو إمام جماعة عباد الله.

جميع المنظمات الإسلامية في بيليز بحاجة إلى المصاحف الكريمة والكتب العربية والأشرطة لمعلمي القرآن الكريم، وكذلك دعم مالي، حيث إن العاملين في الحقل الإسلامي لا يستلمون أي دعم مالي من الجماعات.

المدرسة الإسلامية:

هنالك مدرسة إسلامية واحدة في بيليز تملكها وتديرها الإرسالية الإسلامية في بيليز، ناظر المدرسة هو كليم الأمين، هنالك أيضاً ١٢معلماً إضافياً بدوام كامل، مع ٢٦٩ طالباً وطالبة، الدورة الدراسية تتضمن دروس اللغة العربية، القرآن الكريم، دين الإسلام، الحساب، اللغة

الإنكليزية، العلوم، دراسات اجتماعية، جغرافية، تاريخ، رياضة، والزراعة الأساسية.

وهذه مدرسة معترف بها رسمياً، حيث إن الحكومة مسؤولة عن رواتب المعلمين، والمتخرج من هذه المدرسة يعادل الصف أو الدرجة الثامنة في الولايات المتحدة. انتهى كلام الشيخ كليم الأمين.

الاقتصاد:

يعتبر اقتصاد بيليز قوياً نوعاً ما، حيث بلغ دخل المنتجات الوطنية في سنة ١٩٩٠م ٢٥٩ مليون دولار أمريكي، وهذا يعتبر أمراً جيداً بالنسبة إلى ضيق مساحة البر الرئيسي للبلاد، وحداثة عهدها بالاستقلال، وضعف مشاركة أكثرية السكان في الإنتاج.

والعملة المحلية هي دولار بيليزي، ويساوي نصف دولار أمريكي، أي أن الدولار الأمريكي يعادل دولارين من دولارات بيليز، وهذا أمر ثابت بحيث يخيرك من تتعامل معه بأن تدفع له بالدولار الأمريكي أو الدولار البيليزي.

وصادرات بيليز الرئيسية هي السكر والحمضيات والموز والأسماك والأخشاب.

وقد ازدهرت تجارة الأخشاب لأن الجزء الأكبر من أراضي البلاد يعتبر من الغابات.

أما المناخ فإنه شبيه بالاستوائي، وتهطل الأمطار بغزارة، وبخاصة في الجنوب، ويكون الجو الجاف عادة ما بين شهر يناير إلى شهر مايو.

في مطار السلفادور:

هبطت بنا الطائرة التي ذكرناها في مطار السلفادور في الساعة الثامنة إلا الثلث بعد طيران من قواتيمالا لم يستغرق أكثر من ٢٥ دقيقة، وكانت مدارج الهبوط محاطة ببسط سندسية من الأعشاب التي تمتد إلى أقصى ما يدركه البصر من الأرض المفتوحة.

و مدارج المطار طويلة ومساحة وقوف الطائرات فيه واسعة.

وقد دخلنا إلى المبنى ونحن الآن عابرون مجتازون، وإن كانت في جوازاتنا سمات دخول إلى البلاد فإننا قد أخرنا زيارتها إلى ما بعد زيارة (بيليز).

كان المطار جميلاً حديث الأبنية، نظيفاً وإن لم يكن واسعاً، ولكن كان الأجمل من ذلك هذه الطبيعة الخلابة التي تحيط به من ربى خضر إلى أرض سندسية جميلة، وزاد منظره جمالاً أنهم جعلوا حوائطه الخارجية من الزجاج الشفاف خلاف أكثر المطارات العالمية التي لا ترى المنطقة خارجها، إلا من نافذة مفتوحة فيها، وقد التقطت صورة من داخل المطار مستعجلاً دخولي إلى هذه البلاد.

وقد هدف المسؤولون في السلفادور إلى جعل مطارهم هذا بمثابة نقطة الانطلاق إلى مطارات المنطقة، وحصلوا على ذلك، إذْ ما أن يفكر شخص في السفر لأمريكا الوسطى حتى يفكر في المرور إلى السلفادور أو يمر بها من دون أن يفكر لكثرة الطائرات الحديثة عندهم، وعنايتهم بذلك.

وتجولت في المطار فرأيت البضائع المعروضة فيه أكثرها أجنبي مستورد، كالمشروبات والساعات والأقلام.

وقد حددوا البوابة التي ستنطلق منها رحلتنا إلى (بيليز) بأنها رقم ٦،

ولكن على طائرة أخرى غير الطائرة التي قدمنا عليها، لأنها رحلة أخرى، وقد أرسلوا أمتعتنا إلى (بيليز) من قواتيمالا لأنهم سوف ينقلونها إلى طائرة هذه الرحلة.

كان بين الركاب الذين ينتظرون معنا عند هذه البوابة أناس سود رأيناهم لأول مرة في هذه الجولة في أمريكا الوسطى، وذلك لكون أغلبية السكان في بيليز هم من السود، ومع السود جاءت اللغة الإنكليزية الآن إلى هذا الركن من مطار السلفادور الناطق بالإسبانية.

ثم نادى منادي المطار بالإسبانية ثم الإنكليزية على ركاب رحلتنا، فأسرعنا لبوابة جيدة منظمة إلى الطائرة التي هي بونيغ ٧٣٧ وقد امتلأت عن آخرها بالركاب، وعرفنا أنهم ليسوا كلهم ذاهبين إلى بيليز، بل فيهم من هو ذاهب إلى بلد آخر بعدها.

إلى مدينة بيليز:

وتسمى هنا (بيليز ستي) بمعنى بيليز المدينة، وليست بيليز القطر.

أقلعت الطائرة من مطار السلفادور في الساعة التاسعة إلا عشر دقائق متأخرة عن موعدها المحدد في الأصل وهو التاسعة إلا الثلث بعشر دقائق، وهذا لا يعد تأخراً يذكر، وذلك بعد أن أمضينا في المطار ساعة وعشر دقائق، وكانوا أخبرونا أننا سنبقى فيه ساعة.

وحالما حلقت في الجو تجاوزت نهراً صغيراً من الأنهار الصغيرة العديدة التي رأيناها عند القدوم.

وأسرع المضيفون بإعداد الضيافة قبل أن يطلق قائد الطائرة إشارة التدخين الممنوع، ووزعوا الجرائد والمجلات على الركاب وكلها بالإسبانية، فطلبت منهم جريدة بالإنكليزية، فذكروا أنها لا توجد

عندهم.

أما ضيافتهم فإنها شراب وكيس صغير من النقل الذي يسمى الآن بالمكسرات، وذلك لقصر الرحلة.

كانت الطائرة قد حلقت فوق سحاب منعنا من رؤية الأرض التي كنا رأينا جانباً منها عند القدوم إلى السلفادور، وإن كانت غير التي تحتنا.

ثم خف السحاب والطائرة تتدلى متجهة إلى بيليز التي تقع على البحر الكاريبي، ولذلك صارت الطائرة تطير فوق ساحل لا تقارن أرضه بأرض قوا تيمالا (الغابة الخضراء)، ولا بأرض السلفادور التي هي كلها أشبه ببستان ريان.

فالأرض تحتنا لا تبدو كثيفة الاخضرار، بل حتى التربة فإنها ليست حمراء أو ذهبية كأرض السلفادور، وإنما هي في لون الرماد.

كما أنها ليست أرض جبال عالية، و إنما هي سهول قليلة غير عالية.

وقد تكاثف سحاب غير واسع فوق منطقة قرب المدينة التي نقصدها، ما لبث أن خف فنزلت الطائرة دون مستواه إلى أرض ليس فيها شيء من جمال أرض قواتيمالا أو السلفادور.

وصارت تطير على ساحل من سواحل البحر الكاريبي قاصدة مطار بيليز التي هي أول عاصمة مدينة في أمريكا الوسطى على ساحل البحر، فقد كان الإسبان يتخيرون أماكن العواصم العامة والإقليمية لمستعمراتهم في أماكن جبلية باردة الهواء، وذلك فراراً من الجو الحار في زمن لم تكن توجد فيه المراوح ولا مكيفات الهواء.

فكان هذا إلى جانب سكان المدينة الذين هم من السود، واللغة

التي هي الإنكليزية من الفروق الظاهرة ما بين عواصم المستعمرات الإسبانية وعواصم المستعمرات الإنكليزية، لأن هذه البلاد (بيليز) كانت تسمى (هندوراس) البريطانية تمييزاً عن جارتها هندوراس الإسبانية التي من المقرر أن نزورها بعد انتهاء زيارتنا لبيليز والسلفادور بأذن الله.

إلا أن الخصب لم يفارقنا، فرأينا قرب المدينة نهراً رقراق المياه، غزير التدفق، قاصداً البحر الكاريبي، وهو يتلوى كما تتلوى (غانيات) بيليز السود، أو لنقل إنهن الزرق حتى يقرب لونهن من لون مياهه الزرق.

في مطار بيليز:

هبطت الطائرة في مطار بيليز في التاسعة وخمس وثلاثين دقيقة بعد طيران استمر ٤٥ دقيقة.

وذلك في مدرج تحيط به أعشاب وحشية أي برية غير مهذبة ولا هي شاملة، ووقفت في ساحة الوقوف المعتادة، فليس في مطارهم دهاليز متحركة يدخل فيها الركاب من الطائرة كما في مطار السلفادور.

استعمل الحمام قبل الجوازات:

استرعى انتباهي في المطار شيئان، أولهما معتاد، ولكنه في غير هذا المطار الصغير، وهو كونهم خصصوا لمواطني (بيليز) مكتباً أو لنقل ممراً عند ضباط الجوازات، والثاني أنهم كتبوا بالإنكليزية بحروف بارزة عبارة (يوز رست روم بفور اميقريشن) أي استعمل الحمام قبل أن تصل إلى مكاتب الهجرة التي يراد بها مكاتب الجوازات.

وقد عجبت لهذا الأمر الأخير، إلا أنني عرفت السبب في ذلك، وهو أنه لا توجد دورة مياه بعد الانتهاء من مكاتب الجوازات، فكان هذا بمثابة النصح للمسافر ألا يكون بحاجة إلى استعمال الحمام بعد أن ينتهي

من ضابط الجوازات وينصرف إلى ضابط الجمرك وما بعده.

وهناك لافتة أخرى توضح رسم مغادرة المطار وهو ٢٢ دولاراً ونصف الدولار من دولارات بيليز التي يعادل كل اثنين منها دولاراً أمريكياً واحداً.

والعادة أن تكتب هذه العبارة إذا كانت هناك حاجة لكتابتها عند مغادرة المطار، لأنها رسم المغادرة، وليس عند القدوم، ولكنهم أرادوا بذلك تهيئة أذهان القادمين لها. كما ذكروا أيضاً أن رسم الدخول دولار ونصف للداخل للمطار.

وقد لاحظنا أن كل من استقبل الركاب أو جاء للعمل معهم في المطار هم من السود ماعدا أحد ضباط الجوازات الذي كان في لون السمر من الهنود الآسيويين، والظاهر أنه من المختلطين وليس من الهنود الآسيويين.

عندما رأى ضابط الجوازات جوازي (دبلوماسياً) سعودياً أظهر الترحيب ولم يقل شيئاً أكثر من قوله: كم تريد من المدة هنا؟ وكان في جوازي سمة دخول لبيليز سياسية من سفارتهم في مكسيكو كانت السفارة السعودية هناك قد طلبتها لنا لأقطار أمريكا الوسطى التي سنزورها.

أسرعت إلى عربة حديدية أريد أن أضع عليها الأمتعة، فأسرع رجل إليَّ و أخذها مني وهو يقول: هذه عربتي! فقلت له: ألا توجد عربات للركاب؟ فقال: لا.

ولم أكن أرى إلا ثلاثاً أو أربعاً منها فطلبت منه أن يحمل أمتعتنا عليها ،والقاعة صغيرة، لذلك لم أرَ ضابط الجمرك، فذكر هذا الرجل الذي تبين أنه أحد العمال في المطار أن ضابط الجمرك لم يحضر. إلا أن الضابط حضر بسرعة ولم نقف عنده، لأنه رأى جوازي (دبلوماسياً) فأفسح لنا الطريق. وصرفت من موظفة بيضاء - خلاف أكثرية أهل البلاد السود -

مائة دولار أمريكي بمائتي دولار من دولارات (بيليز) من دون نقص أو زيادة.

وهذه الموظفة على شباك وحيدة في المطار لهذا الغرض.

وبقيت مسألة الفندق، فبحثت في هذه القاعة الصغيرة عن مكتب لحجز الفنادق أو خدمة السياح فلم أجد إلا لافتة على النافذة التي صرفت منها النقود، وكانت الفتاة البيضاء مشغولة، لأنها الوحيدة التي تصرف لجميع القادمين، وليست سريعة بأداء عملها، فسألت العامل الذي معه الأمتعة عن الفنادق، فذكر فندقاً كبيراً إلا أن شخصاً سمحاً من الموظفين السود ذكر أن الفندق المناسب هو فندق بيليفيو وذكر ان الأجرة في الليلة للغرفة الواحدة ٧٧ دولاراً أمريكياً.

وسالت عن الأجرة إلى الفندق الذي ذكروا أنه وسط المدينة، وأنه على شارع البحر، فأخبروني أنها (٣٠) دولاراً بيليزياً أو خمسة عشر دولاراً أمريكياً، سيان لأن الدولار الأمريكي بدولارين من دولاراتهم لا يزيد عن ذلك ولا ينقص.

ركبنا سيارة أجرة ضخمة مع سائق أسود ضخم، سمح الوجه، فكان أول وسائل الاطمئنان أن السائق مثل غيره من أهل البلاد يعرف الإنكليزية، فأخذنا نتحدث معه عن كل ما نود معرفته.

أنحن في إفريقيا؟

سار السائق بسيارته في منطقة ساحلية ذكرتني بما كنت عرفته في عدة أماكن من القارة الإفريقية القريبة من خط الاستواء مع أن الساحل هنا هو ساحل البحر الكاريبي الذي يقع بين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، وأن المباني والأشجار التي فيه. والأعشاب النامية في مكان

الأرصفة من هذا الطريق المهم الذي هو واحد للسيارتين المتقابلتين وعدم العناية الظاهرة بتزيين المنطقة وتجميلها، فإن ذلك كله ذكرني بالأماكن المعتادة من ضواحي المدن الإفريقية.

مرج البحرين:

صار الطريق يمر في يابسة بين مائين، أحدهما البحر الكاريبي الملح على اليسار، والثاني نهر جم المياه ومياهه صافية، مما يدل على أنه لا يشهد فيضاناً في هذه الايام.

والأرض ساحلية مستوية خالية من التلال والأماكن المرتفعة، ولذلك اشتد عجبي من اختيار هذا المكان لبناء العاصمة إن كان قد وقع اختيار لها مسبق مخطط ولم يكن الأمر مجرد مصادفة لرغبة من السكان لبناء مساكن، ما لبثت أن اتسعت وكبرت حتى صارت مدينة.

وجميع ما نمر به رغم الخصب الظاهر ليس بهيجاً، وذلك لكوننا قدمنا من عاصمة في أمريكا الوسطى ترتفع ارتفاعاً كبيراً عن سطح البحر، حيث ترتفع مدينة مكسيكو عن البحر بـ ٢١٠٠ متر، وترتفع مدينة (قواتيمالا) عاصمة جمهورية قواتيمالا عن البحر أيضاً.

وارتفاعها عن البحر جعل الهواء فيها لطيفاً، ونسبة الرطوبة غير عالية، وذلك رغم كون موقع كل منهما لا يبعد كثيراً عن خط الاستواء جهة الشمال، وإن كانت كل واحدة منهما تختلف في هذا الصدد عن الأخرى رغم كون المكسيك وقواتيمالا كل منهما لها حدود مع (بيليز) هذه.

في مدينة بيليز:

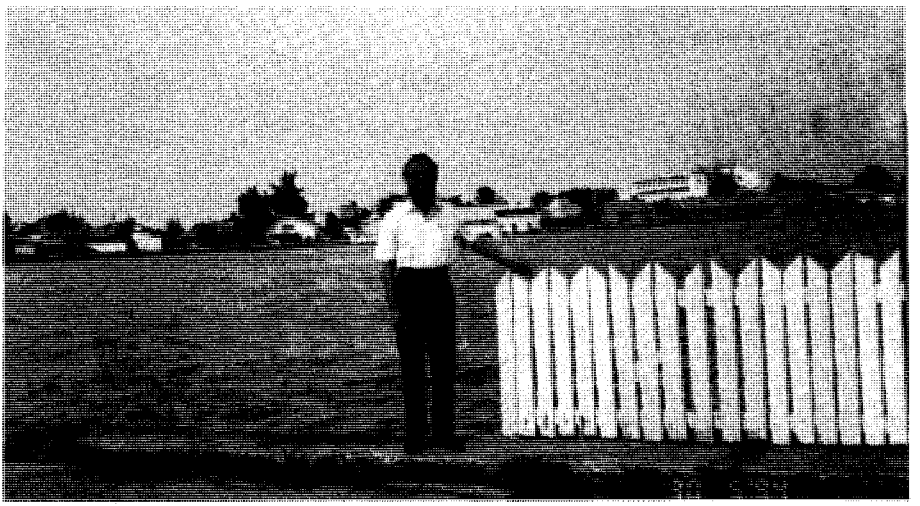

المؤلف في شارع الشاطئ الذي عليه الفندق في مدينة بيليز

وصلنا المدينة بسرعة ويسمونها (بيليز ستي) يعني مدينة بيليز - كما سبق - فدخلنا شوارع من شوارعها غير واسعة، ولكنها ذات أرصفة غير مجملة، حتى وقفنا عند الفندق الذي نقصده، وهو فندق بيلفيو، وهذه كلمة منحوتة من كلمين، أصلها بيليز فيو، أي منظر بيليز. وجدنا مدخله على غير ما تخيلناه، فهو صغير، ووجدنا فيه فتاتين إحداهما من المختلطين ما بين الأوروبيين والهنود الأصلاء الذين هم الأمريكيون الذين كانوا يعيشون في هذه المنطقة من أمريكا الوسطى قبل وصول الأوروبيين، والثانية مختلطة ما بين الأوروبيين والسود، وكلتاهما على جانب من الذوق والجمال.

لقد ذكرت أنهم أخبرونا أن أجرة الغرفة في هذا الفندق هي ٧٧ دولاراً أمريكياً، ولكن الموظفة عندما رات جوازي (دبلوماسياً) خفضت الأجرة بمقدار ٢٠٪ لأن هذا هو النظام المعمول به في الفندق.

حمل أمتعتنا عامل ضخم قوي البنية إلى غرفتنا في الطابق الثاني،

والفندق مؤلف من طابقين، وليس فيه مصعد، وإنما صعدنا مع درج خشبي تبين أن الفندق كله مثله، فهو مقام من الخشب، ولذلك إذا سار شخص ما في الممر بقوة صار الفندق كانما يهتز، ومنع ذلك من يكون في الغرفة من التهيؤ للنوم.

وممراته ضيقة أما غرفه فإنها معتادة فيها ما يكون في غرف الفنادق ذوات النجوم الثلاث من تلفاز ملون كبير ومكتب وهاتف وحمام داخلي. ولكن ليس فيها ثلاجة ولاخزانة للملابس، و إنما فيها معاليق تعلق عليها الملابس التي يضر بها الطي، أما الأخرى فإنها توضع في أدراج تحت جهاز التلفزة.

وفي كل غرفة مكيف خاص بها لا بد من إشعاله، لأن الجو حار رطب .

النظرة الأولى:

سألنا موظفة الاستقبال عما إذا كان يوجد مطعم قريب من الفندق يمكن أن نتغدى فيه، فذكرت أنها لا تعرف ذلك إلا أنها قالت: إن لدينا مطعماً في الفندق، فخرجت مع زميلي في الرحلة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز المسند نلتمس مطعماً عاماً، فكانت النظرة الأولى العجب من موقع المدينة، لأن الفندق ومدخله على شارع الشاطئ، وإن كان شارعاً ضيقاً إلا أن مياه البحر كانت تنثر رشاشها على الشارع حتى لا يستطيع من يسلكه أن يسير في جهته الشرقية المحاذية للبحر، لأن مياه البحر ترشه، ولا يتدرج الشارع تدرجاً فيه، بل يقع المرء فوراً في مياه البحر فيما لو زل قدمه وهو يسير على رصيف الشارع، وتكاد تكون مياه البحر مساوية في الارتفاع لأرض الشارع لا يحجزها عنها إلا حاجز من الإسمنت والحجارة المطلية بالإسمنت ارتفاعه نحو ثلث متر.

ويقع فندقنا في قلب المدينة، ولكنه القلب الواقع على الشاطئ إذْ وقعنا في قلب المدينة التجاري حالما خرجنا من جهة المدينة وهي جهة الغرب، وهو ضيق الشوارع، ذو أرصفة لا بأس بها إلا كونها مرتفعة عن المعتاد وضيقة أيضاً.

واهم ما يضايق الذي يراه لأول مرة رؤية قناة المجاري التي تسير مكشوفة على جانبي الشارع وهي مليئة بالمياه المستعملة، وتسبق رائحتها الخبيثة إلى أنفك قبل أن تراها عينك.

والسبب في كونها كذلك ظاهر، وهو قرب مستوى المياه من سطح الأرض في هذه المنطقة من المدينة، بحيث إن أي محاولة لحفر مصارف للمياه في الأرض ستجعل المياه الملحة الموجودة في الأرض تمنع من ذلك.

وكل هذه المجاري التي رأيتها في جميع شوارع المدينة القديمة أو لنقل: قلب المدينة التجاري هي متجهة إلى البحر.

لم نجد وسط المدينة التجاري عامراً بالناس ولا الحوانيت والمحلات التجارية فيه مفتوحة، وذلك أن اليوم هو الأحد يوم العطلة الأسبوعية، وكان هدفنا أن نجد مطعماً فيه، فلم نهتد إليه في موضع قريب، فسألنا رجلاً أصفر اللون مع كدرة في لونه، ويظهر أنه هندي آسيوي قد نفضت عليه هذه البلاد من سوادها، فأشار إلى مكان غير بعيد ما أن رأيناه حتى صدتنا رؤيته عن التفكير في الأكل فيه، وذلك أن بابه متسخ من الأيدي التي تفتحه وتغلقه ولم ينظف، وإلا لكان ذلك كافياً لإعادته إلى نظافته الأصيلة، كما أنه ليس فيه مكيف، وإنما فيه مروحة على أشدها لتبديد الرطوبة، ورأينا الآكلين فيه لا ترتاح عيون مثلنا إلى النظر إليهم، ومع ذلك طلبنا منه أن يحضر لنا سمكاً مشوياً، فذكر أنه لا يوجد عندهم سمك مع أن مدينتهم بحرية، بل إن شواطئ البحر تحيط بها من أكثر جهاتها.

إضافة إلى النهر الذي وإن لم يكن كبيراً فإنه يشقها، وهناك نهر آخر غيره يشق ضاحية من ضواحيها.

واصلنا السير في هذا القلب من المدينة فلم نرتح إليه، وكان أهم ما كدرنا من كون المارة فيه قلة.

وتدل أبنيته غير المرتفعة وصغر الحوانيت فيه التي وإن لم تكن مفتوحة فإن ذلك ظاهر من تلاصقها وتقارب أبوابها على أنها ليست مدينة مرفهة.

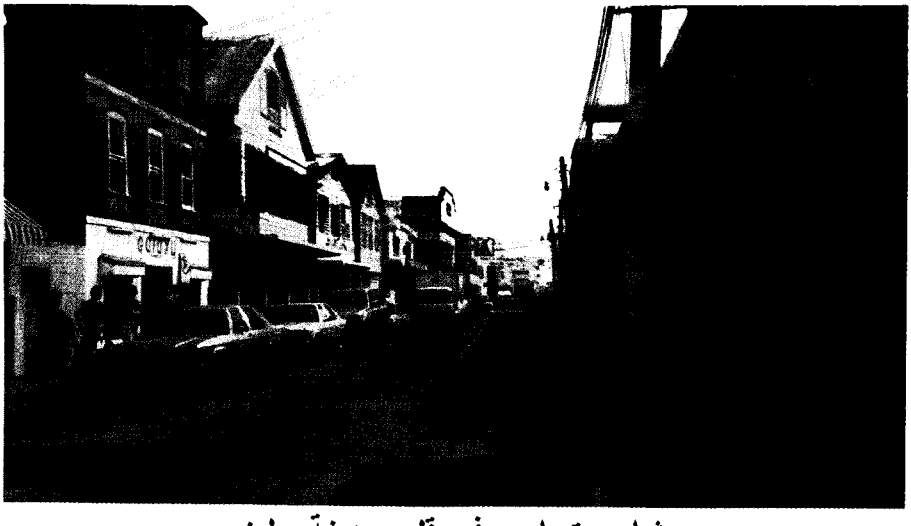

شارع تجاري في قلب مدينة بيليز

وأما المارة فإنهم السود الذين لا تكاد تميز أكثرهم عن الإفريقيين، إلا أنك إذا كنت مثلي قد زرت أقطار القارة الإفريقية كلها، لا تستطيع أن تلحقهم بأهل قطر إفريقي بذاته.

وهذا ظاهر السبب وهو أنهم من المختطفين الذين اختطفهم الأوروبيون وباعوهم عبيداً، أو اتخذوهم عبيداً للعمل في مزارعهم، والقيام بالأعمال الشاقة عنهم، وليسوا من أهل بلد بعينه، وإن كان يعرف أن غالبهم يؤتى بهم من إفريقية الغربية، فإن ذلك يمتد من أنجولا إلى غامبيا،

وقد اختلطوا على مر الزمن بإخوان أفارقة لهم في الأغلب، ولذلك لم يخرجوا عن الدائرة الإفريقية، وإن كانوا خرجوا أو أخرجوا من القارة.

وهذه حال الأكثر منهم وإن كانت فيهم قلة اختلطت بالسكان الأصلاء الذين كانوا يسكنون هذه البلاد في الأصل قبل مجيء المستكشفين الأوروبيين، فهؤلاء قلة ونسبتهم ضئيلة، وأقل منهم المختلطون ما بين السود والبيض فيها، ومع ذلك لا يخطئ البصر بعض هؤلاء وأولئك بين السود على قلة.

ويظهر من حالة السود هنا أنهم تغلب عليهم الروح الطيبة، وعدم العداء للأجانب الذين يخالفونهم في اللون، وهذا ليس حكماً جازماً عليهم، ولكنه الذي يظهر للناظر إليهم للمرة الأولى.

على أن جمع الناس في المدينة الآن قليل كما سبق.

وقد كدرنا منظر قنوات المجاري الموجودة على حواف الشوارع مكشوفة قد جعلوا أمام مداخل البيوت ما يشبه السقف فوقها لكي يمر منه من يدخل أو يخرج من البيت.

إلى جانب الرطوبة العالية في الجو رغم كوننا قد تخففنا من اللباس.

ومن المحزن هنا أن ما شاهدناه مماثلاً لما شاهدناه في بلاد مختلفة في آسيا وإفريقية، وهو وجود قمائم ونفايات متروكة في الأماكن المتسعة أو المنخفضة قليلاً في البلدة، ويعجب المرء لهذا مع أن رفع هذه القمائم وإبعادها عن المدينة لا يحتاج إلى تقنية أو مهارة عالية، ولا يحتاج إلى تكلفة باهظة.

وقد تذكرت مدينة قواتيمالا التي تركناها في صباح هذا اليوم ونسميها العليل وهواءها البليل، ومواطن الجمال في الحدائق والأشجار،

وربما في الأزهار إلى جانب الجمال الماشي على الأرض الذي قد تصادفه فيها على قلة.

اللجوء إلى الفندق:

ليس معنا من يشرح لنا ما رأيناه، ولم نجد من هو على استعداد لذلك، مع أن لغة البلاد هي الإنكليزية التي نحسنها، ولكن الناس قليل، والحوانيت أكثرها مغلق، ولم نجد المطعم الذي نبحث عنه حتى بعد السؤال عنه في المنطقة القريبة من الفندق، فرجعنا أدراجنا إلى الفندق وصعدنا إلى مطعمه الصغير في الطابق الثاني، وفيه مراوح جيدة بددت الرطوبة من الجو، وجميع رواده من البيض، ولا يستطيع المرء هنا أن يقول إنهم من الأوروبيين، لأن البيض في المنطقة قد يكونون من الولايات المتحدة الأمريكية أو من الأماكن الذين يغلب البيض على سكانها في أمريكا الوسطى المجاورة مثل كوستاريكا.

وبعضهم قد استرخى فيه، فتذكرت بذلك أيضاً فنادق القارة الإفريقية ومطاعمها، حيث يكون الغالب عليها من الرواد الأجانب لأنها في الأصل أنشئت للسياح الذين أغلبهم من البيض وأسعارها غالية.

أما العاملون في المطعم فإنهم فتاة سوداء ورجل مختلط، قدموا وجبة تعتبر خفيفة من الشواء والبطاطس والخضرات المطبوخة بنحو ٦ دولارات للشخص الواحد.

وقد استرحنا في هذا المطعم لبعض الوقت، ولكننا كنا على عجلة من أمرنا لإنجاز ما قدمنا من أجله إلى هذه البلاد، وهو الاجتماع بالإخوة المسلمين فيها، فهاتفنا الأخ ناصر أحمد دياب وهو لبناني تاجر يهتم بالعمل الإسلامي في هذه البلاد، وكنا حصلنا على عنوانه من قبل فوعدنا بأنه سيمر بنا في الساعة الرابعة.

نصيحة عجوز:

علقت مصورتي بيدي وخرجت إلى شارع الشاطئ الذي عليه الفندق أبتغي التقاط صورة مناسبة، فصورت الشارع إلا أنني كنت بحاجة إلى صورة لي على شاطئ البحر الكاريبي هذا، ولم يكن معي أحد فرأيت عجوزاً تقول إنها إنكليزية أقدر أن عمرها في حدود التسعين، إلا أنها خفيفة الجسم بحيث يسهل عليها المشي بخلاف الكلام الذي شوهه سقوط أسنانها وثقل لسانها، وإن كانت تنطق بلغة إنكليزية فصيحة.

وقد حرصت على التقاط صورة لي هنا ليس إيماناً مني بأن صورتي تستحق ذلك، بل إنني ربما أعتقد أن العكس هو الصحيح، إذْ ماذا يهم القراء من الاطلاع على صورة شيخ قد ناهز السبعين من عمره! ولكنني أقصد من ذلك توثيق الرحلة، فقد سمعت عمن قرأ كتابي الأول في الرحلات وهو « في إفريقية الخضراء » وكان خالياً من الصور، فقد قال: إنه يجوز أن المؤلف لم يرَ كل ما ذكر أنه رآه في كتابه، لأن ذلك كثير واسع، وإنما يجوز أنه وُصِف له فذكره.

ولذلك رأيت أن أوثق الكتاب بالتقاط صور لي في الأماكن التي أذكر أنني زرتها أو في بعضها لهذا السبب.

وسارعت العجوز الإنكليزية بنصيحة مجانية هي أول ما سمعت منها وهي قولها: احرص على مصورتك هذه لئلا تخطف من يدك، لأنه حدثت حوادث مماثلة لسياح مثلك، كما أن الأشياء المهمة قد تخطف من يد مالكها في مثل هذه الشوارع غير المزدحمة.

ثم سألتني عن جنسي فقلت لها: إنني عربي. فقالت: أختي متزوجة من عربي من لبنان، والعرب هنا تجار ورجال أعمال، وهم من لبنان وفلسطين.

ثم التقطت لي هذه الصورة.

المؤلف في شارع الشاطئ الذي عليه الفندق في مدينة بيليز

جولة في مدينة بيليز:

ولو أردنا الترجمة الحرفية لاسمها لقلنا: بيليز المدينة، لأنهم هكذا يسمونها (بيليز ستي).

هذه الجولة مع الأخ الكريم ناصر أحمد دياب الذي هاتفناه قبل قليل، وقد حضر إلينا في الفندق ومعه الأخ حسن محمد السيد الذي يقود السيارة التي حضر بها، وهي أمريكية مكيفة الهواء فيها هاتف.

وقد أمضينا معهما نصف ساعة في الفندق للتعارف ورسم البرنامج، ثم انطلقنا في الرابعة والنصف عصراً في جولة في مدينة (بيليز).

سكان بيليز:

يبلغ عدد سكان مدينة بيليز (٦٥) ألف نسمة من مجموع سكان الجمهورية، أو لنقل بتعبير أدق سكان قطر (بيليز) البالغ عددهم ٢٩٥ ألف نسمة.

وهذا عدد سكاني قليل بالنظر إلى أن البلاد غنية وواسعة نسبياً، إذْ

يبلغ مساحتها مع جزرها ٣٥ ألف كيلو متر أي ما يزيد على ثلاثة أضعاف مساحة لبنان، على حين أن عدد سكانها لا يمثلون إلا ما يعادل ١٠٪ من عدد سكانها في الوقت الحاضر، ولذلك تعتبر (بيليز) بلداً ذا مستقبل اقتصادي جيد إذا أحسن استثمار أرضه، واستغلت المحصولات الزراعية التي يمكن أن تنتجها، فضلاً عن النواحي الاقتصادية الأخرى، التي أوردنا ذكرها في مجمل الكلام على (بيليز).

شارع العرب:

بدأنا التجول بالسيارة ومعنا أخوان عربيان من أهل البلاد، لأنهما كانا أقاما سنوات طويلة، فكانت صحبتهما مفيدة لنا لما يعرفان من المعلومات عنها.

سلكنا شارعاً رئيسياً في القلب التجاري للمدينة اسمه (البرت استريت) بمعنى شارع البرت، وينبغي أن نتذكر أن (بيليز) كانت مستعمرة إنكليزية، ولذلك نلاحظ أن معظم الأسماء الاستعمارية فيها هي أسماء إنكليزية.

أخبرنا الأخوان أن شارع البرت هذا حافل بالمحلات التجارية التي يملكها التجار العرب من فلسطينيين ولبنانيين، ولذلك يصح أن يسمى (شارع العرب) على هذا الاعتبار، وإن لم يكن هذا هو اسمه الذي يسمى به رسمياً.

المؤلف في شرفة مبنى المحكمة العليا على شارع البرت في مدينة بيليز

وقد رأينا اللافتات على عديد من المحلات التجارية تحمل أسماء عربية واضحة، ومنها محل الأخ حسن محمد السيد الذي رافقنا، ومن ذلك محل كتب عليه اسمه (أحمد بيليز ستور) لصاحبه أحمد محمد دياب.

وقد ذكر لنا الإخوة العرب أن الهنود الآسيويين بدؤوا ينافسون العرب على التجارة، وبخاصة في هذا السوق، وكان العرب أول التجار فيه. وشكا الإخوة العرب أن الهنود يرضون بالربح القليل لأن بلادهم لا تتمتع بمستوى معيشة عالٍ، وليست فيها رواتب مرتفعة.

مقر الحاكم العام:

مررنا بمقر الحاكم العام وليس بالفخم، ولا بذي المظهر السني، والحاكم العام لبليز لا زالت ملكة بريطانيا تعينه مثل ما تفعل في الحاكم العام لكندا ولأستراليا ونيوزلندا، فهي إذاً ليست جمهورية مستقلة، وإنما تعتبر مرتبطة بالتبعية لمملكة بريطانيا، وإن كان الحاكم

لا يتدخل في الشؤون الخاصة بهذه البلاد، ولا يرسم سياستها لأنه رمز لملكة بريطانيا التي تملك ولا تحكم.

ومن المظاهر التي رأيناها دليلاً على بقاء ارتباط بيليز ببريطانيا أن دولارهم عليه صورة الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا.

ومع ذلك لا يكاد يوجد في بيليز أحد من البريطانيين في الوقت الحاضر، وإذا وجدوا فإنهم على هيئة مستشارين في الحكومة أو المؤسسات، وليسوا برجال مال وأعمال تجارية كالعرب مثلاً.

ومن الأبنية المتميزة في المنطقة الواقعة في قلب المدينة التجاري مبنى المحكمة العليا وهو مبنى قديم الطراز، ذو مسحة عربية أخضر الطلاء يركبه برج الساعة، كتبوا عليه لافتة تقول إن هذا المبنى قد اكتمل تشييده في عام ١٩١٨ وإن الساعة قد وضعت فوق برجه في عام ١٩٢٤، وذكروا أنه بني على شرف بنشنيك حاكم المستعمرة البريطانية الذي قتل بطريقة إرهابية.

على شاطئ البحر:

لمدينة بيليز هذه شواطئ عديدة، وليس شاطئاً واحداً، ذلك بأنها مقامة على هيئة تشبه جزيرة يحيط بها البحر من عدة جهات، والمراد بالشاطئ هنا الشاطئ الرملي الذي يعبر عنه بـ (البيتش) بالإنكليزية، لأن البحر من هنا لا يصل إلى الشارع، بل إنه ينزل فيه بدرج فيجد المرء يابسة لأمتار قليلة بين مياه البحر والحائط المرتفع الذي أقيم عليه.

وهذا عكس الشاطئ الذي يقع عليه فندقنا (بيليفيو) الذي هو على الجانب الشرقي من المدينة القديمة، فهذا على الجانب الغربي، ولكنه شاطئ مهمل فليس عليه أي علامة من علامات العناية أو التجميل، مع أنه

جدير بذلك.

ولقد اتسعت مدينة بيليز من الجهة الشمالية التي تربطها باليابسة وهي الجهة التي يقع فيها المسجد والمدرسة الإسلامية اللذين سيأتي الحديث عنهما فيما بعد باذن الله .

ثم انتقلنا إلى جهة جنوب المدينة مع شارع الشاطئ المسمى بالكرنيش وهو خال أيضاً من العناية ماعدا حديقة جديدة فيها أرجوحات للأطفال قد أقيمت على شاطئ البحر مما يلي المدينة وهي جهة الشمال.

وأهم الأشجار المتميزة في هذه الحديقة أشجار النارجيل التي يسمى ثمرها جوز الهند.

في حديقة الأطفال في مدينة بيليز

وتسمى هذه الحديقة (حديقة فوره جورج) على اسم الحي الذي تقع فيه من المدينة القديمة.

أهم مافيها قسم الأطفال حيث وجدنا طائفة من الأطفال من السود والمختلطين يلعبون فيها مع أهاليهم، كما أن هناك موسيقى وطنية تنبعث من مكبر للصوت في الحديقة، وإيقاعها يشبه إيقاع الموسيقى الإفريقية في شرقي إفريقيا، وهي موسيقى حديثة متاثرة بالموسيقى الشبيهة بموسيقى

الجاز إلا أنها أبسط نغمات، وأقل تعقيداً منها.

هدية الشعب اللبناني:

واصلنا السير مع شارع الشاطئ الجنوبي الذي انحرف بسرعة جهة الشمال؛ حيث شرق المدينة الواقع على البحر، فوصلنا أرضاً متسعة على هيئة حديقة قد أقيم فيها نصب يرمز إلى دولة بيليز وسيادتها على أرضها، وهو أشبه بالنصب إلا أنه على هيئة مبنى يحيط به من بعض الجهات أروقة ضيقة، وقد كتب عليها بالإنكليزية:

« هدية من الجمعية اللبنانية لشعب بيليز، افتتحت رسمياً بواسطة القنصل اللبناني سر كيس أبو نهرا أول سبتمبر عام ١٩٦٦م ».

وفوق هذه العبارة الشعار اللبناني وهو شجرة الأرز.

وما يجدر ذكره أن (سيركيس أبو نهرا) وهو من المسيحيين اللبنانيين من مدينة طرابلس، هو قنصل فخري للبنان، وإلا فإنه لا توجد قنصلية رسمية لبنانية، فضلاً عن السفارة، كما لا توجد أية ممثلية عربية أو إسلامية في (بيليز) هذه.

هذا وقد أسمى إخواننا المرافقون هذا النصب بأنه رمز الدولة البيليزية.

وأما القنصل اللبناني (سر كيس أبو نهرا) فقد قابلناه بعد ذلك، فترجل من سيارته وسلم علينا، ويظهر عليه أنه يقترب سنه من السبعين مع أن تاريخ افتتاح هذا النصب قد مضت عليه ثمان وعشرون سنة.

ولم أجد الإخوة المسلمين في هذه البلاد راضين عنه لكونه لا يجامل المسلمين.

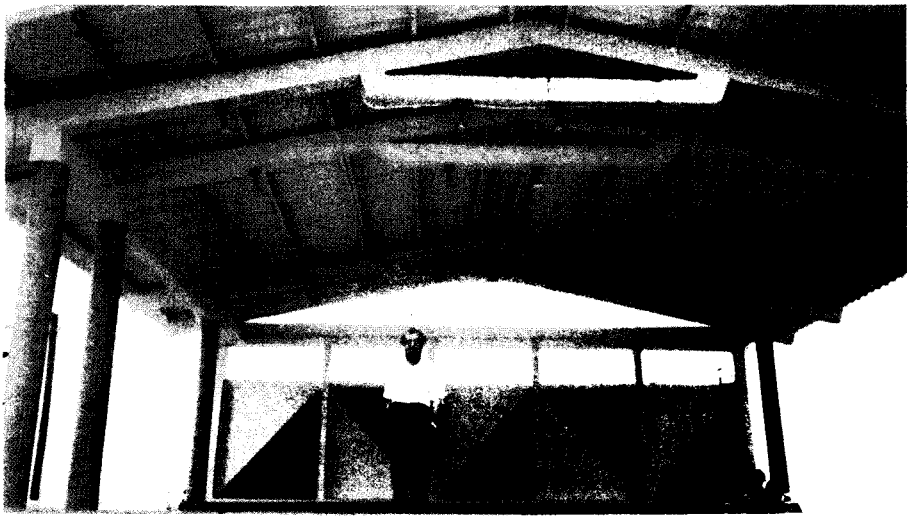

المؤلف داخل المبنى الرمزي اللبناني في مدينة بيليز

ومن الغريب أنهم ذكروا أنهم يحتاجون إليه للحصول منه على سمات دخول إلى لبنان لأن أكثرهم قد حصل على الجنسية البيليزية ويذهب إلى زيارة أهله في لبنان بالجواز البيليزي، لذا يحتاج إلى سمة دخول لبنانية عليه. فيمنحهم هذا القنصل النخري السمة المطلوبة، وقد استمتعنا بالوقوف على شاطئ البحر الذي تمرح فيه أسراب من طيور النورس البيض لا تجد من يزعجها، ولا يرغب الأهالي في أكلها لذلك لا يصطادونها مع أنها طيور مائية لا تأكل إلا الأسماك وما يلقى في مياه البحر من فضلات طعام أو نحوه.

وذكر الإخوة المرافقون أن البط موجود هنا، وأن اللبنانيين يصطادونه.

مررنا فوق جسر على نهر بيليز وهو أحد نهرين يجريان في هذه المدينة الصغيرة التي لا يصل عدد سكانها إلى ٧٠ ألف نسمة، إضافة إلى وجود بعض الفروع لهذين النهرين.

وهذا الجسر المقام على نهر (بيليز) جسر قديم، ومع ذلك ينتح في

الساعة الخامسة عصراً كل يوم لتمر منه السفن، فيغلق عن مرور السيارات لمدة نصف ساعة، ثم يعاد افتتاحه للسيارات والمشاة، ويغلق دون السفن.

والمراد بها السفن التي تجري في هذا النهر، وليست من السفن الكبيرة .

وما يجدر ذكره أن فتحه وإغلاقه يتمان بطريقة يدوية كما تفتح حنفية المياه الكبيرة وتغلق، ويصب في البحر عند ضاحية من المدينة.

وقد سألت الإخوة عما يصنع هؤلاء الذين يبنون بيوتهم في وسط المدينة القديم مع أن مستوى الأرض لا يرتفع كثيراً عن مستوى سطح البحر فأجابوا: إن البناء هنا مكلف لأن قشرة الأرض غير صلبة، فلا بد لكي يبنى البناء من إبعاد التربة وجلب تراب آخر من نوع آخر لترتفع به أرض المبنى، ولذلك يكون البناء هنا مكلفاً صعباً.

شارع الملكة:

عدنا مرة ثانية إلى جهة أخرى من قلب المدينة التجاري حيث شارع تجاري رئيس آخر يسمى (كوين استريت) بمعنى شارع الملكة، وفيه محلات عديدة للتجار العرب، منها محل لمرافقنا الأخ ناصر دياب قرأنا اللافتة التي تحمل اسمه بالإنكليزية (أورينتال ستور) بمعنى المخزن الشرقي.

وله محل تجاري آخر في بناء يملكه أخضر الطلاء كما أنه أرانا (عمارة) له جديدة يقوم بتعميرها رغم تكرار ما ذكره من النفقة الزائدة على العمارة في هذه البلاد، قال: إن الإيجار فيها سواء إيجار المحلات التجارية أو الشقق السكنية مرتفع يبرر الإنفاق المرتفع في البناء، وقال

مثلاً: أنا أؤجر المحل التجاري المتوسط هنا، وهو صغير بالنسبة إلى المحلات التجارية المعتادة في بلادنا بألف وخمسمائة دولار في الشهر.

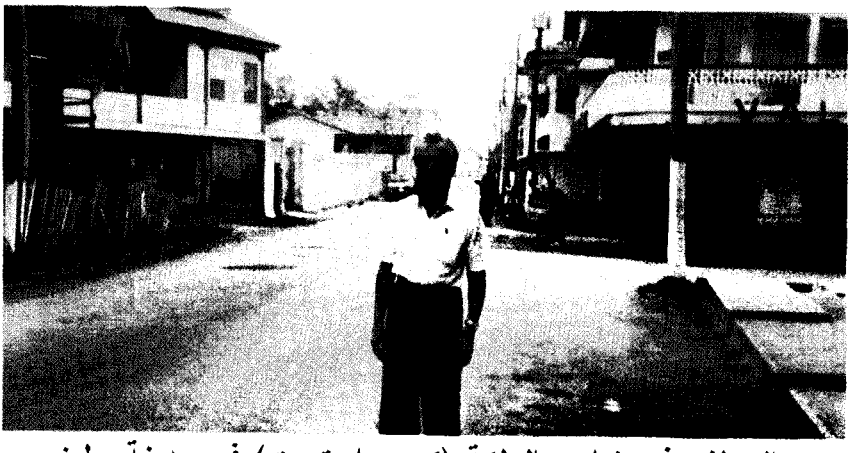

المؤلف في شارع الملكة (كوين استريت) في مدينة بيليز

ثم خرجنا إلى جهة الشاطئ القريب ومررنا بمنزل رئيس الوزراء فرأيته صغيراً حقيراً بالنسبة إلى منازل الموظفين المتوسطين عندنا، فحاولت تصويره إلا أن الإخوة خشوا من أن يفسر ذلك بأنه محاولة لاستغلال الصورة للتخريب أو نحوه.

أكبر مبنى يملكه عربي:

مررنا بمبنى كبير متميز على شاطئ البحر تبين أنه لفندق (رمادان) في هذه المدينة، ثم مررنا بمبنى متعدد الطبقات من الإسمنت المسلح، لا يبعد كثيراً عن البحر، ذكروا أنه يملكه (ابن عرب) وأنه أي المبنى هو أكبر مبنى في مدينة (بيليز) كلها ماعدا مبنى فندق (رمادان).

واسم مالك المبنى هو (بيلي موسى) وهو فلسطيني مسيحي مولود في هذه البلاد اسم والده (حميد موسى)، وكان أخوه أحد الوزراء في البلاد، وقد ترك الوزارة قبل سنة.

مكانة العرب في بيليز:

لا أحد هنا أو حتى في هذه المنطقة البعيدة عن الوطن العربي يجهل مكانة العرب الاقتصادية في هذه البلاد (بيليز)، ولكن الذي لا يعرفه بعضهم هو مكانة أبناء العرب من المهاجرين الأوائل الذين ولد أبناؤهم فيها، فقد أصبح أكثرهم من ذوي الثروات المعروفين بذلك، وبعضهم تسنموا وظائف عالية، منها هذا الوزير الفلسطيني الأصل.

وهناك وزير عربي آخر وهو مسيحي لبناني اسمه (بينو أخوان) وهو وزير الأراضي في بيليز في الوقت الحاضر، أي في الوزارة القائمة الآن في البلاد.

وهو أيضاً مولود في هذه البلاد ووالده يتكلم العربية.

وذكر أن وزير الخارجية بالانتخاب بمعنى أنه لم يتسلم هذا المنصب بعد، هو عربي من أبناء المسلمين مولود أيضاً في هذه البلاد، ويعرف شيئاً قليلاً من العربية، وقد طلبت أن أقابله فأخبروني أنه مسافر إلى الإمارات العربية منذ شهر، وأنه من المقرر أن يسافر منها إلى مكان آخر لا يعرفونه، فهو غير موجود في البلاد الآن.

هذا مع كون العرب أقلية عددية في هذه البلاد بحيث يقدر عددهم بألفي نسمة من المسيحيين الذين أكثرهم من اللبنانيين، و يليهم في الكثرة الفلسطينيون المسيحيون.

أما المسلمون من العرب فإن عددهم هو ١٢٠ نسمة.

فالعرب عددهم قليل، ولكن أثرهم في البلاد وتأثيرهم على مقدراتها الاقتصادية والإدارية أكبر من نسبتهم العددية أضعافاً مضاعفة.

وهذا أمر عرفته وشاهدت آثاره في معظم أقطار أمريكا الوسطى

التي زرناها في هذه الجولة، وتكلمت على ذلك عند الكلام على كل بلد بعينه.

حي بوليفرز:

وصلنا إلى حي شعبي اسمه حي (بوليفرز)، البيوت فيه من لبن الإسمنت المسقفة بالصفيح، وليست على حالة مزرية مثل الأحياء الشعبية في آسيا وإفريقية.

وقد نوه المرافقون بأن هذا الحي الآن وأمثاله لا يأمن ذو اللون الأبيض إذا دخله أن يسرق أو ينهب ما معه، قالوا : وهذا شيء جديد لم يكن معروفاً من قبل، إذ كنا ندخل فيه ونأمن إلى أهله، كما نأمن إلى سائر الناس، وربما كان للفقر أو لتنشي الشرائط السينمائية التي تعرض على الناس قصص الجريمة، أو للبعد عن المثل الموروثة دخل في ذلك.

فقلت لهم: ماذا يأخذون من الغريب الذي يدخله إذا لم يكن معه نقود على سبيل المثال؟

فقالوا : يأخذون حتى دراجته، وأما الأذى البدني فإنهم لا يؤذونه.

ووقفنا على مجرى نهر بيليز في هذه الضاحية، وقبل أن يصل إلى قلب المدينة القديم، وصورته وهو في حجم فرع النيل الذي يمر بمصر القديمة في مصر، إلا أنه تبدو منه رائحة خبيثة إذْ أنهم سلطوا عليه مجاري المياه المستعملة: حيث يأخذها معه إلى البحر القريب.

وقد اضطروا لذلك لانخفاض المنطقة بالنسبة إلى مستوى سطح البحر، وإن تكن أكثر ارتفاعاً من قلب المدينة القديمة عنه، كما أنهم لا يحتاجون إلى مياه هذا النهر للشرب أو الاستعمال، فلديهم في المدينة نهر آخر وفروع لهذين النهرين.

نهر بيليز (تصوير المؤلف)

هذا وقد حسن الجو وانهزمت الشمس فخفت الرطوبة، ونوه الإخوة المرافقون وهم من المقيمين في هذه البلاد بأن جوها صحي خالٍ من الأمراض.

مسجد بيليز:

قابلنا قبل الوصول إلى المسجد الأخ (محمد نايف شرارة) من منطقة سير في جبال لبنان التي تقع إلى الشرق من مدينة طرابلس، وهي منطقة أكثر سكانها من المسلمين، فذكروا أنه من العاملين للجمعية الإسلامية، وأنه يشجع العمل الإسلامي، ولذلك يقوم متبرعاً بعمل (محاسب الجمعية).

وصلنا المسجد والمدرسة وتتألف من أرض واسعة في الجهة الغربية منها غابة من الأشجار الكثيفة والأعشاب الخضر، وقد أحاطوها بسور قديم عليه بوابة حديدية عريضة، في وسطها مبنى المسجد والمدرسة، وهو بالفعل مبنى المدرسة اتخذوا الطابق الأسفل وأكثر الغرف في الطابق الأعلى مدرسة، وخصصوا جانباً من الطابق الثاني للصلاة، و هيؤوه لذلك.

وأملهم أن يبنوا المسجد على جانب من هذه الأرض الخالية الواسعة، فيكون المسجد وحده بمظهر المسجد من قبة ومنارة فيكون معلماً من المعالم الإسلامية في هذه البلاد، وأن يبقى المبنى الحالي كله للمدرسة.

ولذلك أسموا المكان بالمركز الإسلامي، وكتبوا عليه اللافتة بالإنكليزية (محمد إسكول إسلامي سنتر) أي مدرسة محمد مركز البعثة الإسلامية.

والبعثة الإسلامية هي الجمعية الإسلامية في هذه البلاد، ويقوم عليها الإخوة المسلمون من السكان الذين أصلهم من القارة الإفريقية، وكلهم بدون استثناء حديث عهد بالإسلام، فليس فيهم من أبوه مسلم، إلا أن إمكاناتهم المالية ضعيفة، وإلا لو كانت لديهم قدرة مالية لعمت المساجد أنحاء البلاد، ولدخل الناس أفواجاً في الدين الحنيف، لأن الذين يدعونهم أناس من أنفسهم.

ويقوم بعض الإخوة من المسلمين العرب مثل مرافقنا الأخ ناصر دياب ومحمد شرارة بمساعدة هؤلاء الإخوة والعمل معهم في الجمعية والمسجد، إلا أنهم يتيحون لهم بأن تكون الرئاسة والسياسة في الجمعية لهم.

وجدنا المسجد الذي يقع في الطابق الثاني مغلقاً لأن الوقت ليس بوقت صلاة، فقد بقيت في الوقت بقية صالحة قبل أن تغيب الشمس، فتجولنا في أرض المسجد الواسعة في هذه الأمسية الجميلة، وفي هذه المنطقة التي تبعد بعداً نسبياً عن ساحل البحر، لذلك كانت الرطوبة فيها خفيفة.

وقد وجدنا فيها اثنين من الإخوة المسلمين من أصل إفريقي، ولا حاجة إلى القول بأنهم من المسلمين الجدد، لأن جميع المسلمين في هذه البلاد هم من المسلمين الجدد باستثناء المسلمين من أصل عربي، وعددهم قليل جداً، والمراد بذلك من هم من أبناء المسلمين العرب المولودين في هذه

البلاد.

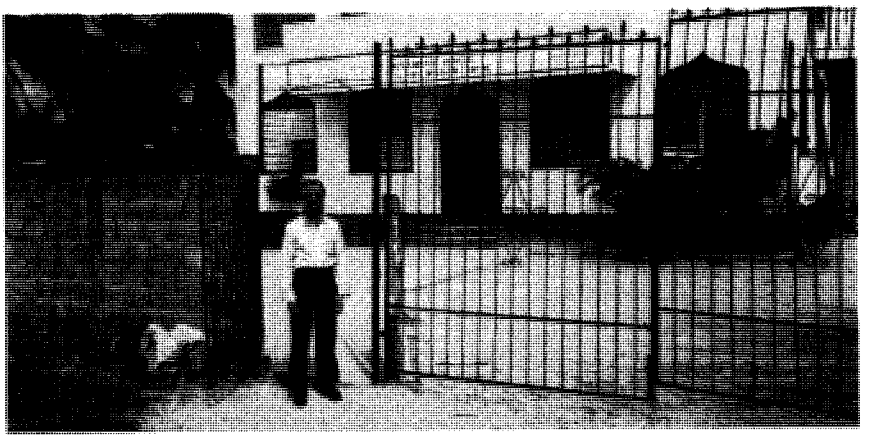

المؤلف عند بوابة المركز الإسلامي في بيليز

وقد وجدناهم كتبوا على حائط المسجد بالإنكليزية: (القرآن روح الإيمان).

والأخوان المسلمان أحدهما اسمه (عبد الحق) أسلم قبل سنتين وكان اسمه قبل الإسلام (أوليفر وارن)، والثاني (عيسى الغزالي) أسلم قبل خمس سنوات وكان اسمه (أوغستو كاستيو).

التقطنا صوراً مع هذين الأخوين المسلمين اللذين يظهر الخشوع والايمان و الطمأنينة الغامرة على وجهيهما في أكثر من موضع في أرض هذا المركز الإسلامي.

وتبلغ مساحة أرض المركز الذي لا يوجد فيه الآن إلا مبنى واحد كما ذكرته وهو مبنى إسمنتي جيد ما يزيد قليلاً على ستة آلاف متر مربع في منطقة جيدة غالية من ضاحية من ضواحي المدينة الجديدة.

ويسمى الحي الذي تقع فيه (بورت لايولا)، والأرض على شارع مهم من الحي اسمه (شارع سنترال أمريكا) بمعنى شارع أمريكا الوسطى.

وقد غرسوا في الأرض مما يلي سورها الواقع على الشارع صنفاً من أشجار النارجيل التي تزدهر في هذه البلاد، وغرسوا معها نخلة من نخيلنا العربية التي شبت ونمت من دون أن تثمر، وذلك لكون الجو في هذه البلاد لا يناسبها، لأنها تشهد فصلاً غزير المطر، ذكروا أنه سيبدأ بعد أسبوع من الآن، مع أن المطر يسقط في غير أوقات موسمه، ولكنه لا يكون غزيراً منتظماً إلا في موسم الأمطار.

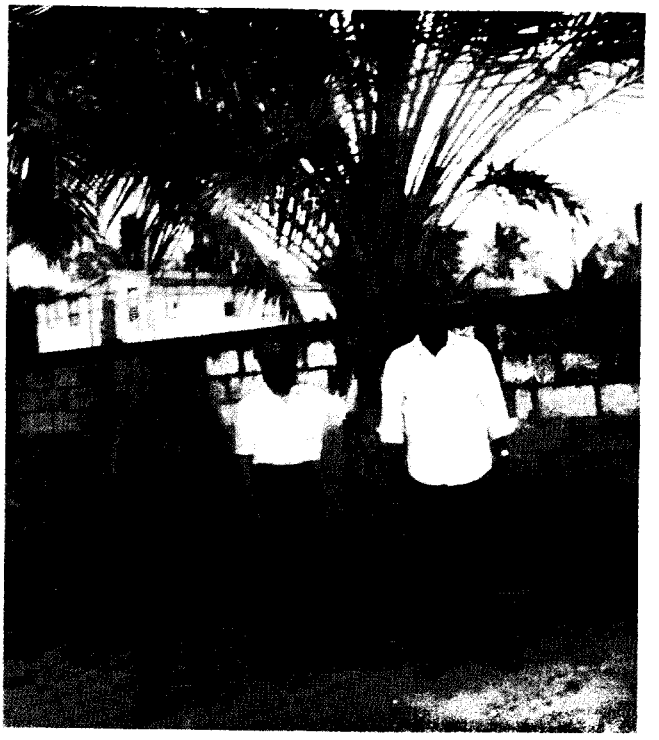

المؤلف بجانب النخلة التي لا تثمر مع الأخوين المسلمين داخل فناء المركز الإسلامي في مدين بيليز

ذكروا أن أصل هذه النخلة نواة أحضرها من مكة المكرمة أحد الحجاج أو المعتمرين من أهل البلاد.

وعلى ذكر النصل الممطر نوهوا بأنه لا توجد هنا فصول أربعة

متميزة كما تكون في بلادنا والبلاد البعيدة عن خط الاستواء، وإنما يكاد يكون الدهر كله واحداً إلا ما ميزه المطر أو عدمه من أوقات السنة.

وهذا أمر واضح التعليل من كون البلاد ساحلية لا تبعد كثيراً عن خط الاستواء الذي يقع عنها جنوباً فوق أراضي الإكوادور، حيث وضعوا نصباً لموقع خط الاستواء لا يبعد كثيراً عن عاصمتها (كيتو)، وقد ذكرت ذلك في كتاب: « على قمم جبال الإنديز » المطبوع.

وقال الإخوة هنا: إن من مظاهر تغير الجو أن اللباس عندنا لا يتغير أبد الدهر، فيكفي فيه القميص وحده طول الدهر.

صلاة المغرب:

وكدت أجعل العنوان (أذان المغرب)، لأن الحديث ليس عن الأذان فقط، فقد حان أذان المغرب فتقدم الأخ (عبد الحق) فأدى الأذان أداء حسناً ليس فيه ما هو على غير وجهه إلا مد كلمة (أكبر) كما يفعل بعض الناس، وبخاصة من الأعراب عندنا.

وكان للأذان هنا وقع في الآذان غريب، وبخاصة أنه في منطقة لم يكن فيها من قبل أذان، بل لم يكن لآباء سكانها ولا أجدادهم إسلام ولا إيمان.

وكان أذاناً خاشعاً بحيث يشعر من يسمعه حتى وإن لم يفهم معناه بأنه خارج من قلب قد غمره الإيمان، والذي يغمر النفس بالفرح ذلك الأمل الذي يكاد يكون يقيناً في قلوب المسلمين هنا بأن هذه البلاد ستصبح دار إسلام و إيمان، وأن المسألة هي مسألة وقت وأوان، لأن القبول للإسلام موجود، والإسلام أسرع الأديان انتشاراً في الوجود، والدليل على ذلك ماثل

في حالة الإخوة المسلمين من أهل البلاد الذين سارعوا إلى الدخول في الإسلام مع عدم وجود مغريات مادية، بل إن الأمور المادية تكاد تكون صادة عن الإسلام لو كانَ الأمر يقاس بالأمور المادية، فلا جاه للمسلمين، ولا مال عندهم، ولا مغريات من وظائف كبيرة، أو منح دراسية وفيرة، وحتى مستشفيات أو مشروعات اقتصادية، ولكنه دين الله الذي إذا باشرت حلاوته القلوب نسيت من حلاوتها مرارة الظروف، وقسوة الزمان، وظهر ذلك نوراً على الوجوه وخشوعاً في الأركان وطمأنينة في النفوس.

ويكفي أن نذكر حالة الأخ عيسى الغزالي هذا الذي سيصلي معنا بعد قليل، ولم يمضِ على إسلامه إلا خمس سنوات وهو أنه من أهل قرية تسمى (بارافكو)، يتألف سكانها من ٣٠٠ نسمة، أسلم منهم سبعة أشخاص، ولكن ليس فيها لهم مسجد، فقدم هذا الأخ من قريته التي تبعد ٣٢٠ كيلو متراً عن مدينة بيليز ليمتع نفسه بالصلاة في مسجدها هذا الذي هو وحيد في بلادهم، لأنه لا يصبر كثيراً عن الصلاة مع الجماعة في المسجد وليستمع إلى بعض الدروس الدينية من أمير الجماعة الإسلامية في بيليز (الأخ كليم الأمين) الذي سيحضر إلينا بعد قليل، وقد أخبرنا الأخ عبد الحق أنه لو كان يوجد في قريته مسجد لصلى فيه، ولما حضر إلى هنا متكبداً كل هذه المسافة، وأنه لو كان فيها مسجد ومدرسة يقوم عليهما مرشد متفرغ لكان عدد المسلمين فيها أكبر، بل لكان من المؤمل أن يعمر المسجد بالمصلين، وأن تعمر المدرسة بالدارسين من المسلمين الجدد وأطفالهم.

صعدنا إلى المسجد مع درج خارجي يوصل إليه مباشرة، فوجدناه قاعة مفروشة بالبساط غير المنقوش (الموكيت)، وهي جزء من مبنى المدرسة الإسلامية التي قدمت ذكرها، ولذلك لم يكن له محراب، بل كانت قبلته إلى إحدى زوايا هذه القاعة.

وقد بنيت هذه المدرسة من تبرعات المسلمين، وبدأت الدراسة فيها بل استمرت وازدهرت كما سيأتي، و اتخذوا هذه القاعة في الطابق الأعلى منها مسجداً مؤقتاً.

مع الإخوة المسلمين في المسجد في مدينة بيليز

أبى الإخوة إلا أن أؤمهم في صلاة المغرب، فصلى خلفي منهم عدد قليل، إذ كان اجتماعهم في العادة لصلاة العشاء لأنها أوسع لهم بعد العمل الذي يمتد إلى قرب المغرب.

فكان الإخوة الذين صلوا معنا عدداً من اللبنانيين الذين يرتدون اللباس العالمي المسمى بالإفرنجي ولكنه الخفيف، وأما الإخوة المسلمون الجدد وكلهم من أصل إفريقي، فإن أكثرهم على رؤوسهم القلانس (الطواقي)، وأحدهم كان يلبس قميصاً عربياً غير طويل.

مسلم قديم:

انقضت صلاة المغرب، وجلسنا بعدها في مذاكرة ننتظر قدوم أمير الجماعة الإسلامية في (بيليز) الأخ (كليم الأمين)، فحضر أحد قدماء المسلمين في هذه البلاد على غير موعد، وهو وجيه من وجهائهم، فبادروا وهم يقدمونه لنا بقولهم: إنه مسلم قديم واسمه (محمد حسن سليم)، وقال

الأخ محمد حسن سليم: إنه أسلم في عام ١٩٦٧م، وإنه كان بالضبط عاشر شخص يسلم من أهل هذه البلاد كلهم، لأنه يعرف عدد المسلمين قبله وأسماءهم.

قال: ولم يكن الناس يسرعون إلى الدخول في الإسلام كما يفعلون الآن، وذلك لجهلهم بالإسلام، وللشبهات التي حيكت حوله في أذهانهم.

ويعمل الأخ محمد حسن سليم في وظيفة مهمة في مصلحة الهاتف.

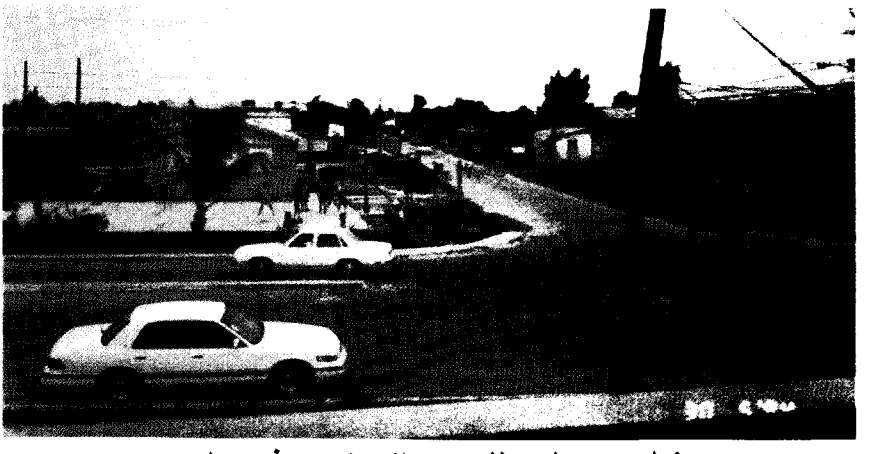

شارع مجاور للمركز الإسلامي في بيليز

(التقطها المؤلف من نافذة المركز)

وعلق الأخ اللبناني ناصر دياب على كلام الأخ محمد حسن سليم قائلاً: عندما قدمت إلى هذه البلاد في عام ١٩٦٧م لم أكن أعلم أنه يوجد في أهلها مسلمون ما عدا اثنين أو ثلاثة، وعندما سمعت من أحدهم تحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) استغربت ذلك بعد زمن لم أسمعها فيه من أحد.

أمير الجماعة الإسلامية:

حضر الأخ (كليم الأمين) أمير الجماعة المسلمة في بيليز واسمها

الرسمي (البعثة الإسلامية) في بيليز، وهو من أصل إفريقي مثل أكثرية السكان في هذه البلاد (البيليزية)، وهو شخصية قوية أهل للزعامة والقيادة، وأعتقد أن المسلمين حتى لو كانوا أكثر مما هم عليه، فإنه أهل لزعامتهم ولقيادتهم، فهو عاقل، متزن في تصرفاته، مقدر للظروف التي تحيط به، متفهم للمرحلة التي يمر بها الإسلام والدعوة في هذه البلاد.

تكلم الأخ الأمير (كليم الأمين) فقال: لقد بلغت الرابعة والعشرين من عمري ولم أسمع أي شيء عن الإسلام حتى هداني الله فأسلمت، ثم ذهبت للرياض ودرست اللغة العربية في معهد تعليم اللغة العربية لغير العرب الذي يتبع جامعة الملك سعود ونجحت فيه، ثم درست فترة هناك أيضاً كانت زوجتي معي في بعض هذه السنوات.

كان يتكلم بلغة عربية جيدة، ولكنه لم يكمل تعليمه في الرياض.

ويعمل الآن مديراً للمدرسة الإسلامية الموجودة في هذا المبنى الذي نحن فيه، وسوف نراها غداً إن شاء الله، ويتسلم راتبه من حكومة (بيليز) التي تعترف بشهادات المدرسة، وتدفع رواتب المدير والمدرسين فيها لأنها تطبق المنهج الحكومي إلى جانب برنامج إسلامي لأبناء المسلمين وغيرهم من الدارسين فيها، لأنهم يقبلون أبناء غير المسلمين الساكنين قريباً منها حسب الاتفاق المبرم ما بينهم وبين الحكومة القاضي بأن تساعدهم الحكومة بدفع رواتب المدرسين في مقابل أن يقبلوا أبناء المواطنين من سائر الأديان فيها.

قالوا: وقد قبلنا ذلك لأن أبناء المسلمين كلهم يلقون مكاناً فيها، وتبقى فيها أماكن خالية بالنسبة لأبناء غير المسلمين، فإننا نعلمهم مبادئ الدين الإسلامي والكتابة بالعربية، حتى إن بعضهم أصبحوا يتكلمون كأبناء المسلمين، ويحفظون قصار السور، وبعضهم قاموا بحث والديهم

على الدخول في الإسلام، وأسلم بسببهم عدد قليل من الناس.

ثم حضر الأخ عمر وهو مسؤول الدعوة في الجمعية، وعندما حضر تذكرت اسمه وقلت له: إننا قبلنا طلبكم للحج هذا العام ضيفاً على رابطة العالم الإسلامي، ولكنكم لم تقدموا، فذكر أنه لم يبلغه ذلك مع تطلعه إليه.

وكان قدم طلبه لذلك بوساطة أحد الاشخاص الكبار في المملكة، فكان جوابنا له بوساطة ذلك الشخص الذي لم يرسل قبول الدعوة لأسباب ربما كان أهمها ضيق الوقت، فوعدناه خيراً في المستقبل.

وقلت له: إن الدعوة لاستضافتكم لا تزال قائمة، وإنه يمكنكم أن تتقدموا بذلك للرابطة للحج معها في موسم الحج القادم بإذن الله.

هذا وقد توافد إلى المسجد عدد آخر من الإخوة المسلمين الوطنيين السود، و من الإخوة العرب، منهم (مجدي) و(عبد الناصر حمزة من لبنان).

كما حضر مصادفة الشيخ (موسى تيجاني) وهو من نيجيريا متخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، يعمل داعية إلى الله في جامايكا والبلاد القريبة منها الناطقة بالإنكليزية، وهو متعاقد مع مؤسسة الراجحي الخيرية التي يرأسها الدكتور أحمد توتنجي الأمين العام السابق للندوة العالمية للشباب الإسلامي.

استمر بحثنا مع الإخوة المسلمين في هذه البلاد واستغرق طيلة الوقت ما بين المغرب والعشاء.

وحان وقت صلاة العشاء فأذنوا للصلاة ثم أديناها معهم جماعة، وقد حضر عدد إضافي منهم ومن الإخوة العرب، وإن كان المجموع لا يزال قليلاً.

وبعد انتهاء الصلاة ألقيت فيهم كلمة مبسوطة ذكرت فيها إعجابي بنشاطهم في العمل لأمور دينهم، وقلت لهم: إنني أشبه حالكم الآن في إسلامكم مع كون آبائكم وأجدادكم غير مسلمين بحال الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا يسلمون مع أن آباءهم كانوا على غير دين الإسلام، وقلت لهم: إنني أرجو أن يكتب لكم من الأجر ما كتبه الله للسابقين الأولين من المسلمين.

وبينت لهم فضل من يهتدي على يديه إلى الإسلام أحد من الناس، وأن الرسول ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (والله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم).

والنَّعم الحمر: هي النوق الحمر؛ جمع حمراء وهي أنفس الأموال المعروفة عند العرب، وهذا معناه أن من يهدي الله على يديه رجلاً من الناس إلى الإسلام فإن ذلك خير له من أنفس الأموال المعروفة.

وذلك أن العمل الصالح هو الخالد الذي يستمر ثوابه، أما المال فإنه من عرض الدنيا المعرَّض للزوال، وإذا لم يزل فإن مالكه سوف يزول ويتركه للورثة، ويكون حظه منه إذا لم ينفقه في الخير هو ما أكله أو شربه أو لبسه، إلا إذا كان عمل به أعمالاً صالحة بما أمر به الشرع الشريف.

وقلت لهم: إنني أرى أن من ألزم اللوازم لكم البداءة بالعمل على بناء المسجد الجامع على هذه الأرض الجاهزة المملوكة لكم داخل أرض المركز الإسلامي، وأرى ألا تنتظروا حتى تجمعوا من المال ما يكفي لعمارة المسجد لأن ذلك يجعلكم تنتظرون طويلاً، وربما لا تتمكنون من جمع ذلك، وإنما ينبغي أن تجمعوا ما تستطيعون جمعه من تبرعات من الإخوة المسلمين الذين لا شك أن بعضهم ومنهم هؤلاء الحاضرون معكم لن يتخلفوا عن المشاركة في هذا المشروع المهم، ثم تبدؤوا ببناء المسجد حتى

إذا نفدت النفقة التي جمعتموها كتبتم لإخوانكم في البلدان الإسلامية وأخبرتم المؤسسات الإسلامية وعلى رأسها رابطة العالم الإسلامي بأنكم بدأتم بالفعل في بناء المسجد الذي هو أول مسجد في هذه البلاد، وأنكم وقفتم عن مواصلة البناء بسبب عدم استطاعتكم جمع مزيد من الأموال لهذا الغرض، ولاشك في أن التبرعات آنذاك ستأتي إليكم من حيث لا تحتسبون.

ونحن في رابطة العالم الإسلامي نعدكم بأننا سوف نرسل لكم إسهاماً قيماً من الرابطة إذا فعلتم ذلك، كما أننا سوف نتصل بأهل الخير والجهات التي تتبرع للجمعيات الإسلامية ونخبرها بأن مشروعكم يستحق المساعدة ونطلب منها التبرع له.

المؤلف في الشارع الذي يقع عليه المركز الإسلامي في بيليز

إنني أعلن لكم الآن تبرع رابطة العالم الإسلامي بستة آلاف دولار أمريكي، سأدفعها لكم فوراً من أجل البدء بما ذكرته لكم، على أن تبقى في صندوق الجمعية لهذا الغرض.

وقد شكروا ذلك وقالوا: إن هذا يشد عضدنا ويحملنا على العمل فوراً بماذكرتم، فقلت لهم: إن من المهم فيما أراه أن يكون للمسجد مظهر

المسجد المعروف من قبة ومنارة حتى يكون شاهداً على الوجود الإسلامي في هذه البلاد، وفي الوقت نفسه يكون مرجعاً لمن يريد المعرفة عن الإسلام ومن يريد الدخول فيه.

وقد أعطيتهم المبلغ فوراً، وتسلمه الأخ العربي محاسب الجمعية.

ثم دعتنا الجمعية إلى مأدبة عشاء حضرها عدد من العاملين في الجمعية من مواطنين أصلاء، ومن عرب مهاجرين، وانتهت في حوالي الحادية عشرة ليلاً، فكانت العودة إلى الفندق، وقد عثرت في جهاز التلفزة الموجود فيه على قناة عربية رأيتها لأول مرة هي (الشبكة العربية الأمريكية) التي تعرف اختصاراً بلفظة (أنا)، وهي تذيع بالعربية برامج من الولايات المتحدة، ثم نقلت برامج لتلفاز الشرق الاوسط الذي يبث برامجه من لندن، فسهرت معه لفترة لأنني لم أرَ محطة تلفازية عربية منذ أن خرجت من البلاد، ومن أجل التعرف على المحطة وبرامجها.

يوم الإثنين ١٩٩٤/٥/٣٠م

الصباح والظهيرة:

فتحت جهاز التلفاز الموجود في غرفتي في الفندق وكانت الساعة هنا هي السابعة صباحاً، فرأيته ينقل برنامج هيئة الإذاعة البريطانية الإخباري المعروف الذي يذاع ظهراً من بريطانيا، وهي العصر عندنا، والمذيع يقول: إليك (عالم الظهيرة) والساعة الآن هي الواحدة بعد الظهر في لندن.

أما في بلادنا فإن الساعة هي الرابعة عصراً، وهي هنا السابعة، ففرق التوقيت بين هذه المنطقة وبلادنا هو تسع ساعات.

السفر إلى العاصمة:

كنا نظن - كما يظن كثير من الناس - أن العاصمة هي مدينة بيليز مثلما عليه الحال بالنسبة إلى مدينة مكسيكو، ومدينة قواتيمالا عاصمة جمهورية قواتيمالا، ولكن تبين بعد وصولنا أن عاصمة بيليز هي (مدينة بل موبان)، فقد أنشؤوا هذه العاصمة في مكان متسع خلاف مدينة بيليز التي تقع في مكان ضيق تحاصره مياه البحر من أكثر الجهات، وتربته غير صالحة للبناء الكثيف، كما أنه غير متسع. واسم العاصمة (بل موبان)، وتبعد ٨٠ كيلو متراً عن بيليز، والذهاب إلى العاصمة ليس مقتصراً على غرض رؤيتها، وإنما لزيارة نائب رئيس مجلس الوزراء فيها، وللتجول في المنطقة التي تقع بينها وبين مدينة بيليز.

كان منظم الرحلة المعد لها هو الأخ النشط الثري (عبد الناصر حمزة) وهو أحد الإخوة المسلمين من التجار النشطين ويحمل الجنسية (البيليزية) إضافة إلى جنسيته اللبنانية.

أخذنا الأخ (عبدالناصر حمزة) من فندقنا فندق (بيليفيو) بسيارة له

قوية جديدة من طراز تويوتا الياباني الغالي الثمن، وهي مكيفة نظيفة ومريحة.

وذلك في الثامنة والنصف من هذا الصباح، لزيارة العاصمة وكان معه الأخ (كليم الأمين) أمير الجماعة المسلمة في بيليز، والشيخ موسى تيجاني الداعية إلى الله في منطقة البحر الكاريبي وهو من نيجيريا.

فكان أن قصدنا مكتب الخطوط السلفادورية فحجزنا معها للسفر مساء اليوم إلى (سان سلفادور) عاصمة جمهورية السلفادور.

وقد اخترقنا لذلك بعض شوارع العاصمة التي بدت لنا في هذا اليوم الإثنين الذي هو يوم عمل لا تكاد تفترق عن العواصم في بعض الدول الإفريقية لولا زيادة ضئيلة في عدد (الرماديين) وهم ذوو اللون الرمادي، فالأغلبية هنا من السود، وفيهم نسبة ضئيلة ربما لا تتعدى العُشر الذي هو ١٠٪ من ذوى الألوان الرمادية، وهي التى لونها بين السواد والبياض، وهي إلى السواد أقرب.

والسيارات في الشوارع ليست كثيرة، وأكثر سياراتهم أمريكية.

ولكننا سنمر بالمدرسة الإسلامية قبل ذهابنا إلى العاصمة:

المدرسة الإسلامية:

هذه هي المدرسة الإسلامية الوحيدة في البلاد، مثلما أن المسجد هنا هو المسجد الوحيد في البلاد رغم وجود أعداد قليلة من المسلمين في غير المدينة: مدينة بيليز يتشوقون لوجود مسجد لديهم يصلون فيه ويعلمون أولاد المسلمين فيه مبادئ الإسلام، ويتخذون منه منطلقاً للدعوة الإسلامية.

على ذكر الدعوة إلى الإسلام أخبرنا الإخوة المسلمون أن أهل البلاد لا يتعصبون ضد الإسلام، ولايكرهون المسلمين.

ومن ذلك ما ذكروه أن رئيس الجامعة عندهم قال لهم: إنه يسره، بل إنه يرى من واجبه أن يوجد مركز للدراسات الإسلامية في الجامعة، ولكن ليس عنده المال الكافي ولا المدرسون الذين يقومون بذلك، وذكروا أنه تكلم كلاماً جيداً على الدين الإسلامي ومكانته في النفوس، وأثره في البشرية.

وذكر أنه مما يحز في نفسه أن الجامعة ليست فيها معلومات وافية عن الإسلام، ولا تستطيع تلبية حاجات من يقصدها للبحث عن المعرفة بالإسلام.

تقع المدرسة الإسلامية في المبنى الذي يقع فيه المسجد في الطابق الأعلى منه - كما ذكرنا من قبل - وهي مبنية بالإسمنت المسلح بناء قوياً على هيئة بناء المدارس المعتادة.

دخلنا الفصلين الأوليين وهما للصغار، ولاحظنا أن مدرسات الصغار والمراد بذلك من يكونون في مستوى الروضة أو أعلى قليلاً يفعلن كما تفعل زميلاتهن المدرسات الأوروبيات؛ حيث تجلس المدرسة مع الأطفال وتطارحهم الحديث كما تفعل الأم مع أولادها، أي أنها لا تجلس على الكرسي وتوجه أوامرها إلى الطلاب كما تفعل في فصول الكبار.

ومن ثم انتقلنا معهم إلى الفصل الثالث الذي تلاميذه أكبر فبادرونا بقولهم: وعليكم السلام، وكيف حالكم؟ طيبون؟

يقولون ذلك بالعربية، وهذه عادة رأيتها جارية في المدارس الإسلامية في إفريقية الغربية، وهذا أمر طبيعي، وإنما الغرابة هنا في أن الذين يقولونها هم طلبة أكثرهم ليسوا من أبناء المسلمين، فالمدرسة إسلامية، ولكنها تقبل أولاد المسلمين وغيرهم من أبناء غير المسلمين، والسبب في ذلك أن الحكومة تدفع رواتب المدرسين فيها ابتداء من راتب مدير المدرسة

الشيخ كليم الأمين أمير الجماعة الإسلامية إلى رواتب أصغر المدرسين والمدرسات، وفي مقابل ذلك تقبل أبناء المواطنين بالقدر الذي يتسع له مبناها، ويتحمله أساتذتها.

في أحد فصول المدرسة الإسلامية في بيليز مع الطلبة

وهكذا ألزموا أبناء غير المسلمين بقراءة مبادئ الإسلام وآدابه، وحفظ قصار السور.

وأخبرونا أن بعض الطلاب الكبار دخلوا في الإسلام وصاروا يدعون آبائهم وأمهاتهم إليه.

قال: ولم نشعر لدى أي واحد من المواطنين أي تعصب ضد الإسلام، فلم يأتِ إلينا أحد منهم يقول: إنني لا أريد أن تعلموا ابني مبادئ الإسلام. قالوا: لأن المدرسة إسلامية مكتوب ذلك عليها ومعروف عنها، ولكون المواطنين غير متعصبين ضد الإسلام.

وفي فصل آخر رأينا الطلاب يحفظون سورة الكوثر وقرأوها علينا أما التحية الإسلامية فكلهم يستعملها في المدرسة مع العلم بأن نسبة أبناء المسلمين إلى باقي الطلاب من أبناء غير المسلمين هي ١٥٪ فقط.

ثم توإلى دخولنا على فصول الدراسة، وفي الفصل الثاني المتوسط

قابلنا طلاب الفصل بتلاوة (سورة الفيل)؛ حيث كان مقرراً عليهم أن يتلوها كما قرؤوا (سورة الدين): ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدع اليتيم﴾ إلخ السورة.

وقد قرأوها قراءة جيدة، حتى الحروف الحلقية كانوا يخرجونها من مخارجها إلا ما صعب عليهم من ذلك.

وهذه المدرسة فيها خير كثير، لأنها يسرت التعليم لأبناء المسلمين، ولكونها تعلم أبناء غير المسلمين مبادئ الدين الإسلامي، ولكون عدد من المسلمين توظفوا فيها.

إلى العاصمة:

ودعنا الإخوة المدرسين المسلمين وسائر المدرسين والمدرسات من غير المسلمين في المدرسة الإسلامية، وبدأت الرحلة جهة الغرب إلى العاصمة، فكان أن مررنا على مشارف المدينة بمقبرة على أكثر القبور فيها صلبان، وبعضها ليست عليها، فأخبرونا أن السبب في ذلك هو فقر المدفون أو فقر أهله، حتى إنهم لم يستطيعوا أن يقيموا الصليب على قبره. وغني عن القول إن كل المدفونين فيها مثل سائر أهل البلاد هم من المسيحيين، لأنهم دخلوا المسيحية عن طريق البعثات التنصيرية. وغير بعيد من المقبرة أكوام من القمامة التي يحرقونها، وقد وضعت فوق أعشاب وحشية كثيفة.

ريف بيليز:

وقعنا بسرعة في الريف لأن مدينة بيليز ليست واسعة، وليست لها ضواحٍ ممتدة، كما أن الأرض التي يسير فيها الطريق ليست صالحة للزراعة ولا للبناء إلا بعد إزالة التربة عن وجه الأرض واستبدالها بتراب

قوي، وذلك لقرب مياه الأرض من سطحها.

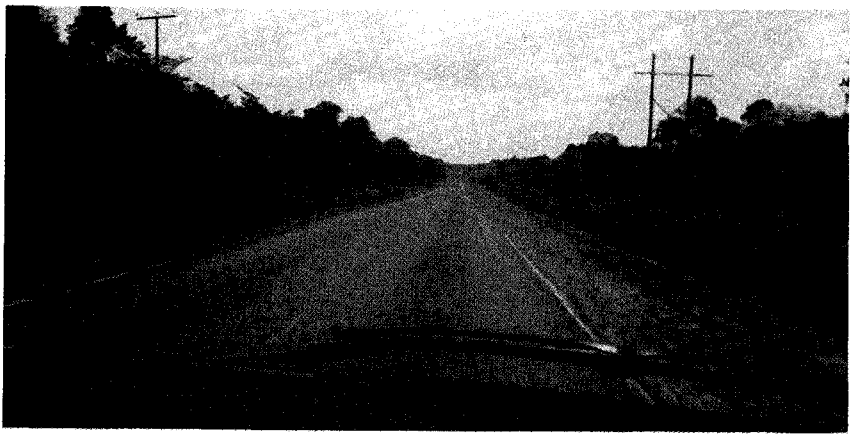

صورة من السيارة للريف المجاور لمدينة بيليز

(تصوير المؤلف)

والطريق متوسط السعة وهو واحد للسيارات السائرة في الاتجاهين المتعاكسين.

والريف فيه أعشاب وحشية كثيرة مهملة بحيث لا يرى المرء أنها تستعمل للرعي أو العلف.

ولمناسبة وفرة الأعشاب في هذا الريف ذكر المرافقون أن البلاد تصدر اللحوم، ففيها ثروة حيوانية ضخمة، ولكنهم يختارون لها الأماكن المرتفعة ذات المراعي الجيدة.

يكرهون الإضافة إلى الموز:

وهم مثل غيرهم من الجمهوريات الصغيرة في أمريكا الوسطى يكرهون بأن يقال لبلادهم إنها جمهورية الموز أو من جمهوريات الموز، مع أن الموز عندهم كثير مثل غيرهم، وإن لم يكن هو السلعة الأولى التي يصدرونها، وإنما الأولى هي اللحم والحيوان البري.

وهم في هذا الأمر مثل أهل (قواتيمالا) الذين يصدرون الموز بمقادير ضخمة، وينتجون منه أنواعاً منوعة يستهلكون منها ما لا يصلح للتصدير كالموز الصغير اللذيذ الذي يؤكل فاكهة، والموز الكبير الأخضر الذي يطبخونه ويقلونه، ومع ذلك يكرهون أشد الكره أن يقال لبلادهم إنها بلاد الموز أو إنها جمهورية الموز.

وذلك لكون النسبة إلى الموز أخرجت مخرج الذم لهم أو التحقير لبلادهم بكونها لا تنتج إلا الموز، ولا تصدر إلا هو، مع أنها تصدر أنواعاً منوعة من السلع والبضائع، ومنها على سبيل المثال القهوة والهيل الذي به نبهر به القهوة، وهذا القول في قواتيمالا ونحوها كهندوراس والسلفادور.

أما بيليز هذه فإنهم لا يصدرون القهوة أو الهيل لأن بلادهم أغلبها سهول صالحة لتربية ماشية اللحم.

ومع ذلك فإن هذه الأرض الندية في الريف خالية من الموز ذكروا أن سببه هو أن التربة غير صالحة للفاكهة، وإنما توجد الفاكهة في أراضٍ أخرى مجاورة لها وصالحة لإنتاج الفاكهة بأنواعها.

وقد لاحظت وجود مستنقعات عديدة في هذه الأرض وهي مستنقعات دائمة وليست بسبب حادث كالمطر.

مهاجرون من تايوان :

وصلنا إلى منطقة فيها مجموعة من المساكن الجديدة ذكروا أنها لجماعة من الصينيين المهاجرين من تايوان إلى هذه البلاد، ويسكنون منفردين في منطقة خالية من المساكن إذْ لم نرَ مساكن لغيرهم منذ أن فارقنا المدينة.

والمهاجرون الصينيون من تايوان معرفون هنا بأنهم رجال مال وأعمال

تجارية ناجحة، ويرحب بهم من يريدون أن يستقدموا لبلادهم أقواماً من ذوي الأموال التي يحسن أهلها استثمارها غير أنه ربما يغيب عن بالهم أن الصينيين على وجه العموم يتزايدون بنسبة كبيرة أكثر مما يتزايد غيرهم من أجناس السكان، وأن العدد القليل منهم قد يصبح كثيراً في المستقبل القريب، لكونهم يكثرون من النسل ولا يختلطون بالزواج مع غيرهم من الناس، كما أنهم يحرصون على أن يستقدموا عمالاً وموظفين من الجنس الصيني.

وربما يكون أهل البلاد الذين سمحوا لهم رأوا ما تحفل به بلادهم من إمكانات اقتصادية ووجوه كبيرة من وجوه الاستثمار لا تجد من يقوم بها، لأن معظم الشعب هنا لا يملك المال ولا المعرفة بكيفية استثماره، على أنه من الجائز أن تكون إقامتهم مؤقتة بأوقات محددة، مع أن الذين سألنا عنهم من المرافقين أخبرونا أنهم من المهاجرين الذين يفترض أن يبقوا هنا مثلما يبقى المواطنون الآخرون.

قرية هاتي بين:

وصلنا إلى قرية صغيرة للمواطنين السود من أهل البلاد اسمها (هاتي بين) وهي صغيرة قليلة المساكن، ومع ذلك ذكر الإخوة المرافقون أن فيها أسرة مسلمة واحدة، وأشاروا إلى بيت من بيوتها المتفرقة وقالوا: إنه بيت الأخ المسلم واسمه عبد السلام، وهو مبني مثل سائر بيوت القرية بلبن الإسمنت، ومسقف بالصفيح، وذكروا أنه يعمل موظفاً في الحكومة.

والغالب على هذا الريف قلة المنازل وتفرقها، فهو يبدو كما لو كانت البلاد خالية، وهذه ظاهرة واضحة من قلة السكان في هذه البلاد، والتي يكفي أن يتذكر المرء أن مجموعهم يبلغ ٢٧٠ ألف نسمة، على حين إن مساحة اليابسة مع جزرها في بلادهم هي ٣٥ ألف كيلو متر

مربع.

في ريف بيليز مع الأخوين المسلمين

وقد أخبرونا بشيء مهم لنا نحن الذين نعيش في بلاد صحراوية تقل فيها المياه أن الماء موجود بعد خمسة أقدام من سطح الأرض، وأنه ماء غزير.

وذكروا أنهم تأتيهم عدة أنهار من هضبة قواتيمالا تنتهي كلها بالبحر الكاريبي.

ولاحظت قلة اللافتات على الطريق وعلى الأماكن التي يمكن أن توجد حوله غير ملاصقة له، ولكنهم ذكروا أن المساحات المسكونة قليلة.

والموجود منها مكتوب باللغة الإنكليزية فقط، ذلك بأن الإنكليزية هي لغة العلم والثقافة ولغة دواوين الحكومة.

اللغات في بيليز:

هذا يجرنا إلى الحديث عن اللغات في بيليز، فأولاها الإنكليزية لغة المستعمرين السابقين، وثانيتها هي الإسبانية لغة المنطقة كلها ماعدا

بيليز، إلا ما كان من جزر البحر الكاريبي التي تقع إلى الشرق والجنوب الشرقي منهم، فان فيها ما تنطق بالإنكليزية مثل جامايكا وترينداد وجارتها غيانا، وما تنطق بالإسبانية مثل كوبا وجمهورية الدومينيكان.

أما الأقطار القريبة منهم التي تجاورهم في أمريكا الوسطى فإنها كلها تتكلم الإسبانية مثل جارتيهم المكسيك وقواتيمالا، وجيرانهم الأبعدين نسبياً مثل السلفادور وهندوراس التي اعتبرت بيليز هذه في وقت من الأوقات جزءاً منها، فسميت هندوراس البريطانية. واللغة الثالثة في بيليز هي لغة (المايا)، والمايا: شعب من الشعوب العريقة في أمريكا الوسطى، وبخاصة في شماليها ووسطها، وقد بلغت شأواً متميزاً في الحضارة حيث كانت قد أنشأت حضارة خاصة بها مستقلة عن حضارات العالم القديم، وإن كانت شابتها شوائب غير إنسانية، مثل تقديم القرابين البشرية بمعنى قتل الآدميين تقرباً إلى آلهتهم، أو لمناسبات من مناسباتهم الدينية.

وشعب المايا كان شعباً موحداً قوياً، ولكن بقاياه تبعثرت الآن في جنوب المكسيك وفي أجزاء من قواتيمالا والسلفادور.

وهذه اللغات الثلاث كلها ذوات أصول غير إفريقية رغم كون أكثرية الناس هنا من السود الأفارقة، إذْ تبلغ نسبتهم في البلاد ٨١٪ ولذلك ذكروا أن اللغة الرابعة هي لغة إفريقية ذات أصول إفريقية، ربما ترجع إلى ما كان يعرفه بعض الأفارقة الذين جيء بهم إلى هذه البلاد، ولذلك ذكروا أن فيها كلمات عربية، ممن ذكر لي ذلك الشيخ (كليم الأمين) أمير الجماعة الإسلامية في بيليز الذي يعرف العربية ويعرف هذه اللغة، واسمها: (فاري كونا)، وقد قال عدد من الإخوة المسلمين من أهل البلاد: إنه يعتقد أن هذا الاسم من العربية ولكنه حرف على ألسنة الناس هنا تحريفاً بعد به عن أصله، وأن أصله هو أين خليفتنا ؟ يريدون بذلك خليفة النبي، وذلك

عندما أصبح الأفارقة الذين استعبدوا في هذه البلاد ليس لهم مرجع يرجعون إليه أو زعيم واحد يتكلم باسمهم كما كانت عليه حالهم في بلادهم الإفريقية قبل استرقاقهم والقدوم بهم إلى هذه المنطقة.

ولم أجد أي علاقة لفظية بين اسم هذه اللغة (فاري كونا) واللفظة العربية أين خليفتنا ؟ اللهم إلا إذا كانت كلمة (فاري) تعني في الأصل كلمة (أين)، فيكون ذلك معناها وليس أصل تسميتها.

وقد استدلوا على ذلك بأن في هذه اللغة كلمات عربية واضحة لا يشكون في أنها دخلت إليها من الأصل لانقطاع الصلة بين هذه البلاد والبلدان العربية أيام الاستعباد والاسترقاق وما تبع ذلك.

المزرعة العربية:

كانت سيارتنا تمعن في هذا الريف، والسائق وصاحب السيارة الأخ الكريم عبد الناصر حمزة يحدثنا عن أوجه الكسب المشروع، والإمكانات الاقتصادية المتاحة في هذه البلاد. وبخاصة في الاستثمار الزراعي، ويقول: إنني أملك أرضاً زراعية هنا يبلغ طولها ١٤ كيلو متراً، وعرضها سبعة كيلو مترات، يحدها من جهة الجنوب طريق العاصمة الرئيسي المزفت، وهو أهم طريق مزفت في المنطقة، ويحدها من جهة الشمال (نهر بيليز).

وعندما حاذيناها تركنا الطريق المزفت وسرنا مع طريق مرصوف غير مزفت، والتمهيد هنا سهل جداً، إذْ ما أسرع أن ينزل المطر فيلبد الطريق، وعندما تسير فوقه السيارة ترصه، ولذلك لا يبدو عليه أي مشكلة في سير السيارة.

كنا دخلنا حدود المزرعة العربية منذ أن تركنا الطريق المزفت إلا

أننا دخلنا بعد ذلك مع بوابة من القضبان الحديدية، قد وضعوها على سور من الشباك الحديدي ليحمي القسم المزروع من الأرض .

وقد أسميتها (المزرعة العربية) لكون مالكها عربياً هو الأخ عبد الناصر حمزة، ولكون القائمين على إدارة العمل فيها من العرب أيضا وهم عمال من بلده لبنان استقدمهم للإشراف على العمال الذين فيها، وقد ذكر أن العمال الوطنيين الآن لا يزيد عددهم في هذه المزرعة على مائتي عامل يقيمون فيها إقامة مستمرة، ويعملون فيها عملا مستمراً، وذلك لأنه لم يزرعها كلها، وإنما ذكر أن المساحة المزروعة منها هي ٧٠٠ (إكر).

ذكر الأخ عبد الناصر أنه اشتراها من رجل إنكليزي كان يملكها بستة آلاف دولار أمريكي للإكر الواحد، وإن مساحة ما اشتراه زادت قليلاً على عشرة آلاف (إكر).

مع الأخ عبد الناصر حمزة في مزرعته في بيليز

ومعنا الأخ كليم الأمين

رأينا القسم المزروع، أو لنقل المعمور بالزراعة منها، لأن قسماً منه مشغول بأشجار مغروسة من أشجار الناكهة التي أبرزها ظهوراً وأكثرها ثمرة البرتقال، فقد رأينا سيارة ضخمة قد وضع العمال فيها ثمار البرتقال

تمهيداً لبيعه.

ولم نرضَ أن نأكل منه على سهولة ذلك، وإنما أرادنا الأخ عبد الناصر أن نتناول الثمار من شجرها، فعجبت جداً لكون البرتقال أصفر اللون لذيذ الطعم باطنه يميل إلى الحمرة، على خلاف ما عرفته عن البرتقال الذي ينمو في المناطق الاستوائية، إذْ يكون في العادة أخضر الجلدة ولو كان قد استوى وأدرك ويكون لبه أبيض.

وقال الأخ عبد الناصر: إن هذه السلالة جيدة، ولكن عجبكم سيزداد حين تعلمون أن شجرة البرتقال في هذه البلاد تثمر ثلاث مرات في السنة، وهو شيء لا نعرفه في بلادنا لبنان بلاد البرتقال وفي غيرها من البلدان العربية.

وقد رأينا ثمراً أصفر ناضجاً في الشجر، وآخر مزهراً وثمراً لا يزال صغيراً، كل ذلك في شجرة واحدة! قال: والأهم من ذلك أننا لا نسقيه إطلاقاً، فلا يحتاج إلى ري أصلاً، وإنما يكفيه ما ينزل عليه من ماء السماء، وما يحصل عليه من رطوبة الأرض.

وقد رأينا أشجار البرتقال في صفوف طويلة منسقة، وهي أشجار نضرة ريانة.

وإلى جانب البرتقال رأينا أشجار (الكاجو)، وهي أشجار تعظم رأيتها في أنحاء من إفريقية وبخاصة في (غينيا بيساو)، وثمرتها في حجم البيضة حمراء اللون، تؤكل فاكهة وقد تعصر فيكون لها عصير لذيذ حلو المذاق، ولكن ليس هذا وحده الذي ينتفع به منها، وإنما يكون في الثمرة خارجاً عنها ثمرة أخرى تشبه نواة التمرة إلا أنها أكبر منها قليلاً، وهي من النقل الغالي، والنقل - إن لم تكن تعرفه - هو الذي تسميه العامة عندنا بالمكسرات، وهذه الثمرة أو هذا النقل هو المعروف عالمياً باسم

(الكاجو)، بخلاف الشجرة فلها هنا اسم غير هذا الاسم.

وهذا النقل غالي الثمن، ويصدر إلى أوروبا وأمريكا، لأن عادة القوم هناك أن يأكلوها كما يؤكل اللوز قبل الشراب.

في المزرعة أشجار حديثة الغراس من أشجار النارجيل، وأعجب لوجود البرتقال الأصفر مع النارجيل في مكان واحد.

وفي قسم منها غابات القصد من غراسها الانتفاع من أخشابها، وقد أرانا معملا لخرط الخشب، ذكر أنه أول معمل من هذا النوع وهو الوحيد في بيليز كلها، والقصد منه أن يوفر للراغبين الخشب المخروط الذي رأينا منه أقواساً من التي تكون فوق الأبواب، ورأينا منه تحفاً وصناديق ونوافذ ذكر أنه استقبل استقبالاً جيداً من سوق رائجة، ورأينا القائم عليه الذي يحمل الخشب بنفسه أخاً لبنانياً مسلماً، وكرر هو أن الخشب الذي يعملونه كله من هذه البلاد البيليزية، وذكر أمراً عجيباً، وهو أنهم يصدرون بعض هذا الخشب المخروط المزين بنقوش ورسوم عربية الطراز من خرط الخشب بدون أصباغ إلى الولايات المتحدة و كندا.

وهذه المزرعة لا تبعد عن (بيليز المدينة) إلا ٣٥ كيلو متراً، ولذلك أقام فندقاً من الخشب مؤلفاً من عدة غرف، كان من أهم الذين يأتون عنده طلبة من طلبة الجامعة والمدارس يأتون مع مدرسيهم لإجراء تجارب زراعية في الأرض، والسكن في هذه الغرف التي أسماها فندقاً بأجرة ٢٥ دولاراً ماليزياً للغرفة الواحدة في الليلة، ويساوي ذلك اثني عشر دولاراً ونصفاً، وربما يسكن في الغرفة أكثر من شخص واحد وبخاصة من التلاميذ.

كان موعد مقابلة نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية قد أزف، فقطعنا تجولنا في هذه الأرض الواسعة على أمل العودة إليها بعد الفراغ من

زيارة العاصمة.

وقال الإخوة: إن هناك مستثمرين للأراضي الزراعية من تايوان تمتعوا بهذه الأرض الواسعة بعد أرض بلادهم الضيقة.

وذكر الأخ عبد الناصر أن له أرضاً زراعية أخرى كبيرة لا يتسع وقتنا لزيارتها الآن، وإلا لكان ذهب بنا إليها.

قرية شجرة القطن:

وصلنا إلى قرية اسمها (قتن تري) بمعنى شجرة القطن. مع أنه لا يوجد فيها قطن الآن، وربما كان ذلك لوجود شجرة من شجر القطن فيها عند تأسيس القرية.

وهي قرية وطنية بيليزية تعتبر كبيرة في هذه البلاد إذْ يبلغ عدد سكانها ثمانمائة نسمة ليس فيهم أحد من المسلمين.

وهذا العدد في سكان القرية ذكرني بما كنت سمعته في ولاية بيهار في الهند عندما زرتها ومررنا ببلدة ذكروا اسمها، وذكروا أنها قرية يبلغ عدد سكانها مائة ألف نسمة، وذلك لكثافة السكان في تلك البلاد الهندية وقلتهم في هذه البلاد البيليزية.

وعندما تجاوزناها رأينا خشباً مقطوعاً من غابة مجاورة، فسألتهم بمناسبة الحديث عن الغابة عن الوحوش عندهم فذكروا أنها النمور والغزلان، وأن الصيد مباح في أكثر السنة للطيور الكثيرة التي لا تجد من يصطادها.

أما الأشجار النامية في هذا الريف الذي نمر به الآن فإنها الموز والنارجيل، ولكن ذلك كله بمقادير قليلة وهو حديث الغراس.

هذا وقد قربنا من ساحل البحر لأن بلدة (بل موپان) العاصمة واقعة

على ساحل البحر، ثم تفرع طريق يذهب إلى اليسار جهة البحر تاركاً الطريق الذي كنا نسير عليه المتجه غربا وهو طريق دولي يذهب إلى (قواتيمالا)، ومررنا بمقر المعرض الزراعي يعرضون فيه كل سنة الأشياء الجيدة من الحيوان والإنتاج الزراعي الجيد، وليس بالواسع.

ومررنا على أيمن الطريق بمنزل متميز كالقصر على رأس تلة منفردة قد نسق ماحو له من الأشجار والأعشاب، فذكروا أنه قصر لابن عرب، بمعنى أحد العرب في هذه البلاد وهو من العرب المسيحيين.

هذه هي بل موبان:

دخلنا إلى البلدة الصغيرة (بل موبان) عاصمة بيليز التي لا أرى أنها بسكانها العشرين ألفاً تستحق أن تسمى مدينة، لقلة عدد سكانها وإن كانت مساحتها لا بأس بها في السعة، بل إنها واسعة. ذلك بأنهم خططوها تخطيطاً جيداً واسعاً في مكان لم تكن فيه عمارة من قبل يقع على شاطئ البحر، ولكنه في منطقة مرتفعة عن البحر، وذات أرض جيدة لا يحد من اتساعها وجود البحر أو غيره من غير جهة الساحل.

وشوارع هذه البلدة واسعة جداً، حتى أكتاف الشوارع أو أماكن الأرصفة فيها التي تقع يمين الطريق و يساره يمكن أن تؤلف وحدها لسعتها شوارع متوسطة السعة.

كما أكثروا فيها من الساحات الخضر في كل اتجاه، وهذه الساحات أو الأماكن الخضر لا تكلفهم شيئاً إلا تمهيدها وتهذيب أعشابها لكثرة المطر، وغلبة الخصوبة على أرضها.

وقد مررنا بكنيسة صغيرة فيها سألتهم بهذه المناسبة عما إذا كانوا ينوون أن يبنوا في المستقبل مسجداً في هذه العاصمة، فأجابوا أنهم

متأكدون من كون الحكومة ستمنحهم أرض المسجد بالمجان إذا طلبوها منها، ولكنها تشترط عليهم تعميرها في مدة أقصاها سنتان من تاريخ حصولهم عليها.

قالوا ونحن الآن نحرص على بناء مسجد على الأرض التي نملكها في مدينة بيليز الكبيرة، ولم نستطع ذلك حتى الآن، هذا مع العلم بأنهم كلهم أعضاء في الجمعية الإسلامية ومن أنشط العاملين فيها، حتى أخونا عبد الناصر حمزة اللبناني هو من العاملين النشطين في هذه الجمعية.

فقلت لهم: إنني أعتقد أنه إن أمكنكم أن لا تقيدكم الحكومة بشرط التعمير قبل سنتين فإن من الخير لكم الحصول على الأرض التي هي الآن متوفرة لدى الحكومة، وهي رخيصة الثمن، لأن سكان العاصمة قلة لا يزيد عددهم على ٢٠ ألفاً كما سبق، فإذا أخذتم أرضاً كبيرة أمكنكم التصرف في بيعها وبناء بعضها الآخر.

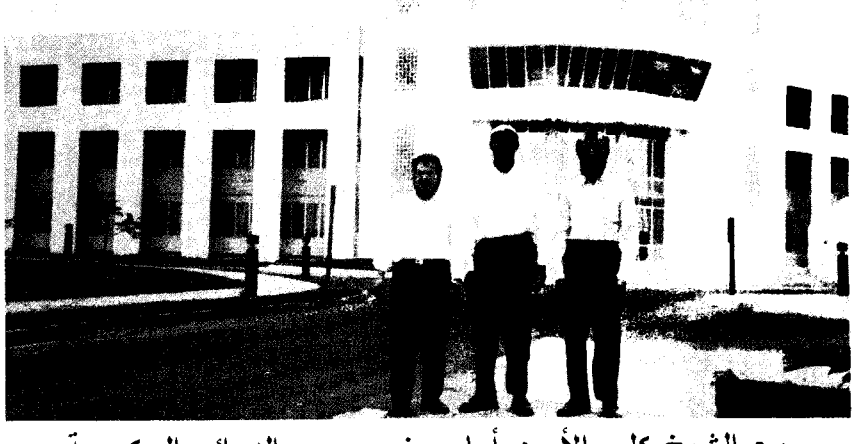

مع الشيخ كليم الأمين أمام مبنى مجمع الدوائر الحكومية في عاصمة بيليز

بل إنني قلت للأخ اللبناني: إنني أعتقد أن الأراضي الآن رخيصة في العاصمة، وأن الذي يشتري أرضاً كبيرة من الحكومة أو من الناس فإنه

لن تمضي عليه سنتان - على أكثر تقدير - إلا وتكون الأرض قد زاد ثمنها، ويكون قد حقق مكسبا كبيراً.

فقال: هذا صحيح، والأمر يحتاج إلى مستثمرين يستطيعون أن يضعوا أموالا في مثل هذه المشروعات.

ولمناسبة الحديث عن الكنيسة وعن عدم وجود المسجد أخبرونا أن العاصمة فيها ثلاث أسر من المسلمين.

واصلنا الاطلاع على ضواحي البلدة الصغيرة التي هي كبيرة بمساحتها بالنظر إلى تخطيطها الواسع الجيد.

وذكروا لنا أن حالة الأمن فيها جيدة، وأنها أفضل من حالة الأمن في مدينة بيليز بكثير.

في وزارة الخارجية:

كان لنا موعد محدد مع نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية، وذلك لمقابلته في مكتبه في مقر وزارة الخارجية، ونحن سنقابله بصفته تلك، أي بصفته وزيراً للخارجية، وذلك بالاتفاق ما بين الإخوة المسلمين ووزير الخارجية إذْ أخبروه بوصولنا وبأنني أحمل جواز سفر (دبلوماسياً) ورأوا أن تقابله فرحب بذلك، مع العلم بأننا لم نطلب منهم ذلك، وإنما لبينا رغبتهم لأننا نحب أن تتاح لنا فرصة اللقاء بمسؤولين نتحدث إليهم عن أمور الإخوة المسلمين، ونعبر لهم عن اهتمامنا بوضع الإخوة المسلمين في هذه البلاد، وذلك بطريقة لبقة حكيمة، بحيث لا يفسر ذلك بأنه تدخل في شؤون البلاد الداخلية.

وصلنا وزارة الخارجية التي تقع في مبنى تشاركها فيه وزارات وإدارات حكومية أخرى، مع أنه بالنسبة إلى بلادنا لا يكاد يكفي لإدارة

عامة، وذلك لكون هذه البلاد حديثة عهد بالاستقلال، وصغيرة إلى درجة أن تكون علاقاتها بالدول الأخرى محدودة وبذلك لا تكون بحاجة إلى إدارات كثيرة في وزارة الخارجية.

والشاهد على ذلك في أنه لا توجد فيها أية سفارة أو ممثلية لأي بلد إسلامي ماعدا قنصل لبنان الفخري الذي هو من رجال الصناعة هناويملك مصنعاً للنسيج، وليس هو موظفاً (دبلوماسياً) مرسلاً من لبنان لهذا الغرض.

جلسنا في غرفة انتظار صغيرة مفتوحة على مكتب عليه بعض الموظفين، على مقاعد جلدية وثيرة جديدة.

وذلك في انتظار أن يحين الموعد المحدد لمقابلة نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الذي كان الإخوة المسلمون قد قدموا لنا صفته في وزارة الخارجية قبل صفته في نيابة مجلس الوزراء، لكونه المختص بالحديث مع الزوار من (الدبلوماسيين) الأجانب.

الأمين العام لوزارة الخارجية:

أقبل إلينا رجل سري المظهر في لون خلاسي وهو المختلط ما بين السواد والبياض إلا أنه إلى السواد أقرب، وسارع وهو يسلم على الإخوة الذين معهم الأخ (كليم الدين) أمير الجماعة الإسلامية في بيليز ويقول من باب المجاملة: السلام عليكم مع أنه غير مسلم، ولكنه فعل هذا من باب المجاملة للمسلمين.

سلم علينا الرجل و أحفى السلام، وجعل يدخل جملة (إن شاء الله) في حديثه، وهي جملة عرفت بأن الذين يستعملونها هنا هم المسلمون.

وقدموه لنا بأنه ديفيد حبسون (السكرتير) الدائم لوزارة الخارجية، علل الشيخ (كليم الأمين) سبب المجاملة بقوله: هو صديقي.

مقابلة وزير الخارجية:

قدمت صفته بأنه أيضاً نائب رئيس الحكومة واسمه (دين بارو) وهو مسيحي الديانة.

دخلنا إلى مكتبه في الوقت المحدد وهو العاشرة والنصف، فاستقبلنا هاشاً باشاً، وأسرع يرتب المقاعد بنفسه لنا، وذلك أن غرفة مكتبه صغيرة وعدد المقاعد فيها محدود.

ولم أشعر أمامه وأنا أراه أول مرة بأي استغراب وإنما خيل إليَّ أنني رأيته أو رأيت مثله من قبل في إخواننا السودانيين، فهو خلاسي اللون إلى السمرة ما هو، والأهم من ذلك أن تقاسيم وجهه تبدو كالتقاسيم العربية إلى جانب الصدق في المجاملة والتصرف اللذي يبدو كما لو كان عفوياً وأنه يرحب بنا عن اقتناع، وكأنما نحن أصدقاء، وكان يفعل ذلك وهو يبتسم.

وزير خارجية بيليز يصافح المؤلف عندما زرناه في مكتبه

عندما استقر بنا المجلس في مكتبه لم يبدأ بالحديث فبدأت به وقلت له: إننا جئنا إلى هذه المدينة لزيارة إخواننا المسلمين في هذه المنطقة. وعندما وصلنا إليها شعرنا بأننا وصلنا - بالفعل - إلى بلاد صديقة. وذلك

بسبب الترحيب والاستقبال الحار الذي استقبلنا به فيها.

وهذا شجعنا على أن نزوركم بعد أن ذكر الإخوة المسلمون مقامكم الرفيع في البلاد، وحسن رعايتكم مع حكومتكم للإخوة المسلمين في هذه البلاد.

ويسرنا أن ننقل إليكم تحيات أصدقائكم المسؤولين في المملكة العربية السعودية، وخاصة من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة التي هي منظمة شعبية عالمية.

ومع ذلك فإننا سوف نبلغ إخواننا في المملكة العربية السعودية كريم استقبالكم لنا خاصة، وحسن رعاية شعب بيليز الصديق الذي تمثلونه للإخوة المسلمين في هذه البلاد.

إننا نعتبر الدين الإسلامي- كما تعلمون- هو ثقافتنا وهو تاريخنا الذي نعتز به، ولذلك نعتبر أية مبادرة نحو المواطنين الذين يعتنقون الدين الإسلامي في هذه البلاد هي بادرة طيبة نحونا ونحو المسلمين في العالم.

بطبيعة الحال لا يعني ذلك أن نحاول التدخل في الشؤون الداخلية للمسلمين في علاقاتهم بالسلطة الوطنية في بلادهم، وإنما ننشد التعاون الثقافي المثمر معهم الذي سيكون في المآل سبباً في توثيق العلاقات الطيبة ما بين بيليز وبين الأقطار الإسلامية

وقلت له من بين ما قلته: إن بعد المسافة ما بين بلادنا وبلادكم لا يقف حاجزاً في التعاون ما بيننا وبينكم، فالشاعر العربي القديم قال:

إن التباعد لا يضر إذا تقاربت القلوب

وقد تقاربت أقطار العالم الآن بما توفر من وسائل الاتصال السريعة.

وفي الختام أشكركم لإتاحة هذه الفرصة لنا لزيارتكم وتبادل

الكلمات معكم.

عندما أنهيت كلامي ابتسم ابتسامة صادقة، وقال: إننا نرحب بكم في بلادنا، وهي وإن كانت صغيرة فإنها تنشد العلاقات الطيبة مع الأقطار العربية، ولذلك اتصلنا بسفارتكم في مكسيكو، كما أن لنا علاقات مع لبنان واتصالات مع الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة.

ثم تحدث بجد عن رغبتهم في بدء العلاقات المثمرة مع المملكة العربية السعودية، وسألني عن كيفية ذلك، فكررت له القول بأننا من رابطة العالم الإسلامي، وهي منظمة غير حكومية، ولذلك أرى أنه من الأنسب أن تتصلوا بأقرب سفارة سعودية من بلادكم وهي السفارة السعودية في جارتكم المكسيك، وتطلبون منها ما تفضلونه من العلاقات مع المملكة على وجه التحديد.

ولا شك في أن السفارة سوف تبلغ وزارة الخارجية السعودية بذلك، وسوف تأخذ رغبتكم بعين الاعتبار، وكان قد ألمح في سابق كلامه أنهم اتصلوا بالسفارة السعودية ولكن لم يتم البحث بالشيء الذي أرادوه.

ثم تناول في حديثه بعض الشؤون المهمة في بلاده وقال في النهاية: إن زيارتكم لبلادنا قصيرة، فقد عرفت أنكم سوف تسافرون مساء اليوم.

فقلت له: إنني أرجو أن تكتب لنا زيارة ثانية في وقت أوسع لبلادكم، كما أننا نرجو أن نراك في بلادنا، فشكر ذلك.

ثم أخذ الحديث المتقطع ما بينه وبين الشيخ (كليم الأمين) الذي تبين أنه ذو مكانة عند المسؤولين في البلاد.

واستأذناه في التقاط الصور التذكارية لهذا اللقاء، وودعناه شاكرين.

عود إلى الأرض العربية:

والمراد بها الأرض الواسعة الشاسعة المثمرة المنتجة التي يملكها أخونا عبد الناصر حمزة وهو من الإخوة التجار اللبنانيين الذين يتعاونون مع الجمعية الإسلامية في بيليز.

وقد أعجبني بصفة خاصة موقعها من الطريق المزفت الذي يذهب من المدينة الرئيسية في بيليز (بيليز ستي) حتى يحاذي العاصمة، ثم يستمر ذاهباً إلى قواتيمالا، ويبلغ عرضها على هذا الطريق سبعة كيلو مترات.

ذكر لنا الأخ عبد الناصر حمزة ونحن مقبلون على أرضه أنه واحد من عشرة أبناء لوالديه، خمسة منهم هاجروا إلى أستراليا ومقيمون الآن هناك، لا شك في أنهم مع أسرهم سيرفدون الوجود الإسلامي في أستراليا.

قال: وأنا هنا في أمريكا الوسطى، وبقي منا أربعة إخوة يعيشون الآن في لبنان.

فقلنا له: بارك الله فيكم، وكثّر في المسلمين أمثال والديكم، وينبغي التنويه أنهم من المسلمين أهل السنة والجماعة المتمسكين بإسلامهم.

ووجدنا العمال قد أعدوا لنا مائدة خفيفة في المزرعة مع أنه جزاه الله خيراً قد أعد مائدة الغداء في بيته.

تناولنا من إنتاج المزرعة شراباً من الفاكهة (الكاجو)، وهي الفاكهة الحمراء التي تكون بجانب ثمرة الكاجو التي هي النقل المعروف الذي تشبه الواحدة منه الجوزة، إلا أنها منحنية قليلاً، ووجدنا عصير الكاجو هذا لذيذ الطعم جميل المنظر.

كما شربنا عصير البرتقال الطازج الذي قطف لتوه من شجره،

وأكلنا من ثمار العمبة (المانجو) الجيدة التي أنتجتها هذه المزرعة.

ثم قمنا بجولة على أشجار الفاكهة في المزرعة، ورغم كون الساعة تقارب الواحدة ظهراً والشمس صاحية، فإن الحر ليس بالغاً، وذلك بسبب الرطوبة والندى والقرب من البحر.

وقطفنا من ثمار فاكهة فيها أيضاً من فاكهة البلدان الاستوائية، وهي المسماة بالنجمية لأنها إذا قطعت قطعاً بالعرض ظهرت قطعاً ذات شكل خماسي يشبه النجمة.

وليست هذه هي الأرض الزراعية الوحيدة التي يملكها الأخ عبد الناصر، وإنما يملك أرضاً زراعية أخرى لم يسمح وقتنا بزيارتها وإن كنت أحرص على مثل ذلك، ليس من أجل زيارة المزرعة بحد ذاتها، وإنما من أجل الاطلاع على المنطقة وطبيعة أرضها.

العودة إلى مدينة بيليز:

عدنا إلى مدينة بيليز فمررنا بنهر بيليز الشهير في ضواحي المدينة، ثم استمر سيرنا إلى بيت الأخ عبد الناصر حمزة الذي يقع بالقرب من المطار.

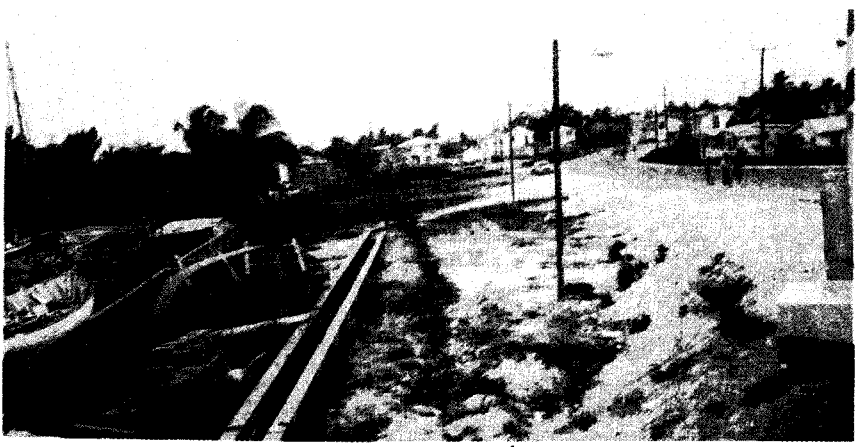

شارع في أحد ضواحي مدينة بيليز

فسرنا مع طريق المطار حيث صار نهر بيليز يماشينا وإن كنا نسير عكس سيره بمياهه الرقراقة الصافية، حتى وصلنا بيت الأخ عبد الناصر قرب المطار غير بعيد من ضفة النهر بعد أن تجولنا في أرض له واسعة على ضفة النهر يقوم الآن بتسويتها، بنية تخطيطها وبيعها قطعاً سكنية، وذكر أن المطار قد تقرر نقله من مكانه الحالي، وبذلك تزداد الرغبة في البناء على هذه الأرض.

ومن الطريف أنه توجد في أرضه هذه قناة مأخوذة من النهر، ذكر أنه اشترى الأرض وهي موجودة فيها، كما نوه بأن نهر بيليز هذا ينبع من قواتيمالا ويسير حتى يصب في البحر بجانب مدينة بيليز.

ثم دخلنا بيت الأخ عبد الناصر حمزة، بل قصره الذي يدخل إليه مع بوابة خارجية يسير الداخل منها بين صفين من الموز والنارجيل.

ثم يدخل باب المنزل وقد بادرنا إلى صلاة الظهر، وجمعنا معها العصر بخلاف المرافقين الذين كانوا معنا، ودعاهم الأخ عبد الناصر إلى الغداء.

وجلسنا في قاعة جلوس واسعة هي بمثابة القاعة التي تتفرع منها أبواب الغرف والمداخل الأخرى.

ثم جاءت المائدة عربية سخية من بين ما قدمه فيها الإربيان، وهو صغار السمك المسمى عندنا بالروبيان، وفي مصر بالجمبري، ولحم غنم ودجاج من مزرعته، وأرز معتاد، ولكن الخبز هو غير معتاد هنا، لأنه الخبز الشامي الذي نعرفه في سوريا ولبنان.

وأما الفاكهة فإنها البطيخ الجيد بنوعيه الأخضر (الحبحب) والأصفر (الشمام)، وعصير البرتقال الطازج من المزرعة.

الأخ عبد الناصر حمزة عند مقدمة بيته في مدينة بيليز

ورأيت في بيته ما أعجبني وهو عنايته أو هوايته بعدد من الحيوان المحنط مثل دب كبير استجلبه من كندا، ونمر من هذه البلاد بيليز قتله صديق للأخ عبد الناصر بعد أن قتل هذا النمر (٧) بقرات سمان.

مغادرة بيليز:

دخلنا مبنى المطار القريب بل المواجه لبيت الأخ عبد الناصر حمزة ومعنا الإخوة الذين صحبونا في جولة اليوم، وخرج إلينا معهم غيرهم من الإخوة المسلمين مودعين جزاهم الله خيراً.

وكانت جلسة أخوية في مقهاة في المطار وهي مقهاة صغيرة مثل قاعة المغادرة التي هي صغيرة أيضاً.

وقد ودعنا الإخوة الكرام شاكرين لهم حفاوتهم وحسن استقبالهم وتوديعهم.

السلفادور

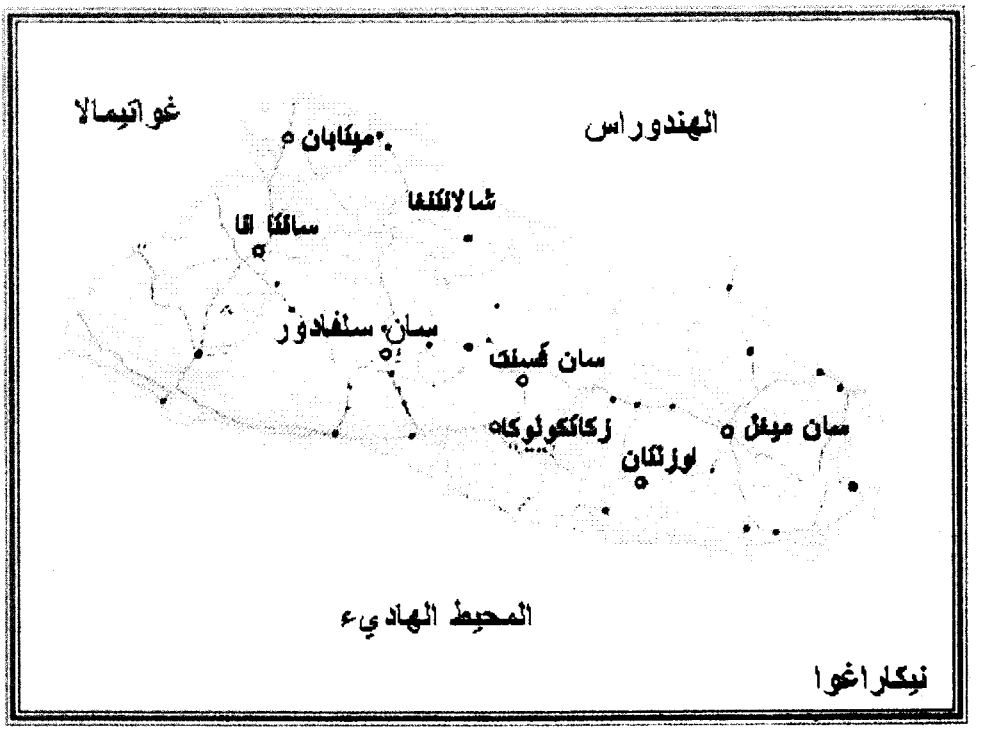
غواتيمالا
الهندوراس
موكابان
شالاتنانغو
سانتا انا
سان سلفادور
سان فيسنت
سان ميغل
زكاتكولوكا
لوزلتان
المحيط الهادي
نيكاراغوا

السلفادور

قبل الأوليمبيات السلفادورية

اعتدت - كما قلت قبل الكلام على بيليز - أن أقدم بين يدي المشاهدات والملاحظات عن البلاد التي أزورها معلومات عامة عن أحوالها، وفيها معلومات مختصرة عن الإسلام والمسلمين فيها، إلى جانب ما تحويه اليوميات والمشاهدات عن المشروعات الإسلامية والشخصيات المسلمة التي التقيت بها، ولكن بالنسبة إلى السلفادور ولأهمية التنويه بالحركة الإسلامية التي يقوم بها الآن الدكتور المهندس أرماندو بوكيلو (أحمد بقيلة) جمعت من الكلام على الشؤون الإسلامية هذا الموضع وفي داخل الكتاب.

تقع السلفادور في الجزء الغربي من أمريكا الوسطى حيث تحدها من الشمال قواتيمالا، ومن الشرق هندوراس، ومن الجنوب نيكاراقوا، كما يحدها من الغرب المحيط الهادئ.

وكانت جزءاً من المستعمرات الإسبانية في أمريكا الوسطى، إلا أنها نالت استقلالها في عام ١٨٢١م.

وتبلغ مساحتها ٣٤،١٥٥ كيلو متراً مربعاً.

أما سكانها فيبلغ عددهم ستة ملايين نسمة، ٨٥٪ منهم من المختلطين أكثرهم من المختلطين ما بين السكان الأصلاء الذين يسمون بالهنود الأمريكيين وبين الأوروبيين الجنوبيين المعروفين باللاتينيين، نسبة إلى لغاتهم المتفرعة من اللغة اللاتينية.

ويسمى هؤلاء المختلطون في منطقة أمريكا الوسطى وشمال أمريكا الجنوبية بالمستيسوس، ويؤلفون أكثرية السكان في تلك المنطقة، إذْ غلبوا عليها أهل البلاد الأصلاء من الذين يسمون بالهنود الأمريكيين في جميع تلك الأقطار ماعدا بوليفيا التي يؤلف السكان الأصلاء من الهنود الأمريكيين الأكثرية من سكانها، وقد تكلمت على أحوال (بوليفيا) في كتاب: « بين الأرغواي والبارغواي » وهو كتاب مطبوع.

وهناك المختلطون ما بين (المايا) أكبر الطوائف من سكان البلاد القدماء الذين كانوا موجودين فيها قبل وصول المستعمرين الأوروبيين وهم من الهنود الأمريكيين وبين الإفريقيين السود الذين جلبهم المستعمرون الأوروبيون من إفريقية عبيداً من أجل أن يقوموا بالعمل الشاق في المزارع والأبنية وغيرها، في عصر لم تكن الآلات الضخمة موجودة، ولا يستطيع الأوروبيون القيام بتلك الأعمال، أو يترفعون عنها، ويسمون هنا (المولاتو) بمعنى المختلطين، لأن (مولاتو) بالإسبانية والبرتغالية: مختلط، ومولاتا:

مختلطة، والمقصود من ذلك أن المولاتو ولدوا نتيجة الاختلاط بالزواج ونحوه ما بين الهنود الأمريكيين وبين الإفريقيين.

وهناك جنس قليل العدد مختلط ما بين العرب والهنود الأمريكيين ويعرفون هنا باسم (لادينو)، ويقول بعض الباحثين: إن أصلها (علاء الدين).

كما توجد في البلاد نسية من السكان تصل إلى ٥٪ من الهنود الأمريكيين الخلّص، أغلبهم من بقايا شعب المايا العظيم.

أما بقية السكان وهم ١٠٪ فإنهم من البيض الخلّص الذين يعتبر العرب والأوروبيون منهم.

هذا ويبلغ سكان العاصمة (سان سلفادور) مليوناً ومائتي ألف نسمة.

والديانة الرسمية للبلاد هي الكاثوليكية، وإن كان أكثر السكان لا يلتزمون بها ولا يقومون بالواجبات الدينية فيها، وهي المسيحية التي يتزعمها بابا روما - كما هو معروف - وهي المذهب الرئيسي في المسيحية.

وهناك المذهب المسيحي الإنجيلي ويعتنقه عدد من أهل البلاد ولكنهم يعتبرون أقلية بين المسيحيين.

ويقول كل الذين بحثنا معهم الأمر بحثاً عميقاً من مفكري البلاد: إن الأهالي هنا يعيشون فراغاً روحياً، لأن أكثرهم غير مقتنع بما يلقيه رجال الدين الكاثوليكي عليه من أمور دينية، وأنه لو تيسر وجود دعاة مسلمين عارفين بكيفية إقناع الناس لانتشر الإسلام بسماحته ونقائه بين عدد كبير من الناس، لأنه - كما هو معروف - يجمع بين تلبية حاجات الجسد بطريقة منتظمة، وبين السعادة الروحية التي يحتاجها الإنسان.

العرب في السلفادور:

يفاجأ من يصل إلى السلفادور ويجري أي اطلاع على أحوال الناس بما للعرب من نفوذ وقوة فيها، يتعدى ذلك إلى عددهم الذي سيبدو كثيراً أيضا بالنسبة إلى ما هو معروف عند عامة الناس، ذلك بأنهم أصحاب مال وأعمال تجارية واسعة، ولهم نفوذ سياسي كبير لا يحد منه إلا كونهم غير مجتمعين في جمعية واحدة، أو متجهين اتجاهاً واحداً، حيث إنهم موزعون على الاتجاهات السياسية المختلفة ما بين اتجاه اليسار العمالي الذي كان يقاتل الأثرياء وذوي رأس المال الذين كانت تؤيدهم الولايات المتحدة الأمريكية، وبين مُلاّك الأراضي والمصانع والشركات الذين يقاتلون الثوار اليساريين لفترة طويلة من الزمن، وكانت روسيا وكوبا تؤيدان أولئك اليساريين.

والعرب كلهم من المسيحيين، فلا يوجد بينهم من المسلمين إلا القليل النادر الذين لا حكم لهم، ويبلغ عددهم ثلاثين ألف نسمة، ٨٠٪ منهم من الفلسطينيين المسيحيين، و٢٠٪ من اللبنانيين المسيحيين.

وأكثر المسيحيين الفلسطينيين الموجودين في السلفادور في الوقت الحاضر هم من المولودين في تلك البلاد، وقد ذابوا فيها من حيث اللغة والدين أو كادوا، وذلك أن هجرة المسيحيين الفلسطينيين إلى أمريكا الوسطى قديمة.

ولكنهم بشعورهم بتميزهم عن غيرهم لا يزالون يشعرون بأصلهم العربي، ويدافعون عنه ويدفعون الأموال الكثيرة للمؤسسات القومية التي تعمل في هذا السبيل.

وقد برز من العرب قادة وزعماء سياسيون واقتصاديون وأساتذة جامعات، منهم على سبيل المثال :(آرثوروا حبله) وهو فلسطيني مولود في

هذه البلاد، وقد شغل منصب وزير الاقتصاد فيها. وكان وزيراً في الحكومة التي سبقت الحكومة القائمة حالياً.

ويقول العرب و المسلمون هنا إنه من المعروفين بمساعدة العرب والوقوف معهم إذا احتاج الأمر إلى ذلك.

ويعتبر العرب في الدرجة الثانية من حيث الثراء والبراعة في الشؤون المالية والاقتصادية، ولا يسبقهم في ذلك إلا اليهود الذين يعتبرون في الدرجة الأولى في هذا الشان، مع أن عددهم قليل نسبياً إذْ لا يزيد على خمسة آلاف نسمة، ولكنهم يعملون متكاتفين متعاونين أمام الفئات الأخرى، شأنهم في أكثر بلدان العالم.

والسفارة اليهودية في السلفادور لها نشاط واسع بين المثقفين حيث تخصص منحاً دراسية ودورات تدريبية لهم في فلسطين، كما توزع الكتب والنشرات التي تتضمن الدعاية اليهودية الواسعة.

ويرجع ذلك لكونهم أقلية ضئيلة كانت مضطهدة في جميع الأماكن المتفرقة التي كان اليهود يوجدون فيها في العالم، ولم تكن أمامهم وسيلة في الأزمان القديمة للبروز في الميادين الوطنية العامة كالقيادة السياسية والحربية، لذلك حصروا جهودهم في اكتساب المال وكسب النفوذ عن طريقه، واستمروا على ذلك حتى بعد أن حصلوا على الحريات الأساسية للزعامة في الميادين الأخرى.

ويشتهر اليهود هنا بأنهم متعاونون في السياسة خلاف العرب، فيقول الناس: إن اليهود لديهم المال والسياسة، والعرب لديهم المال دون السياسة، ويريدون بذلك النفوذ السياسي بأنه دون نفوذ اليهود.

والعرب محبوبون من الشعب ومتميزون، بل محسودون من الآخرين لما ذكرناه.

بخلاف اليهود الذين يبغضهم الناس، ولكنهم لا يستطيعون التخلص من نفوذهم لتمتعهم بأسباب القوة التي ذكرناها.

و يقول العارفون بالأمور المالية والاقتصادية في البلاد إن اليهود يسيطرون على ٥٥٪ من اقتصاد البلاد، وإن العرب يسيطرون على ٤٠٪، وإن باقي السكان السلفادوريين ليس معهم إلا ٥ ٪ من اقتصاد البلاد.

وهناك عنصر جديد نشط دخل الحلبة الاقتصادية في السلفادور، ويتمثل في الصينيين التايوانيين والصينيين الذين قدموا من هونغ كونغ، وأحضروا معهم أموالهم حذراً من أن يقعوا تحت سيطرة الحكومة الشيوعية الصينية عندما عندما تتسلم هونغ كونغ من البريطانيين في عام ١٩٩٧م، وعدد الصينيين هؤلاء محدود إلا أن أثرهم في الاقتصاد أكبر من ذلك بكثير.

وقد يتساءل المرء هنا عن (الإسبان) الذين كانوا أول من وصل البلاد من الأوروبيين في وقت مبكر فأعطوها لغتهم وصبغوها بصبغتهم: أين مكانهم من الاقتصاد ومكانتهم من السياسة ؟ والجواب الذي يسمعه كل من سأل عن ذلك مثلما سمعته: إن الإسبان الخُلَّص غير موجودين في البلاد إلا بعدد ليس له أهمية، لأن الإسبان الذين كانوا فيها قد اختلطوا بأهلها في عصور سابقة، وعهد استقلال السلفادور عن إسبانيا قديم أيضاً إذ كان في عام ١٨١١م.

المسلمون في السلفادور:

قدمت القول بأن العرب في السلفادور يكادون يكونون كلهم من المسيحيين، إذْ لا يوجد فيهم وهم ثلاثون ألف نسمة إلا عشرة من المسلمين، والمراد بذلك العرب القدماء الذين هاجروا إلى هذه البلاد في وقت مبكر وانقرض أكثرهم الآن، ولكن بقيت ذراريهم الذين ولدوا في هذه البلاد.

ولكن معظم المسلمين الموجودين الآن في السلفادور هم من المسلمين الجدد من أهل البلاد الذين أسلموا بأنفسهم، ولم يكن آباؤهم من المسلمين، ويبلغ عددهم ٢٩٩ مسلماً، جلهم أسلموا بعد افتتاح المركز الإسلامي الذي قام بإنشائه في العاصمة (سان سلنادور) الدكتور المهندس (أرماندو بقيله)، وقد سمى نفسه بعد إسلامه أحمد، وإن كان اسمه الرسمي لا يزال (أرماندو)، وبقيلة اسم أسرته، وهو اسم عربي أصيل، وينطق الآن (بوكيلو)، وقد شرحنا قصة إنشائه المركز الإسلامي في اليوميات من غير تفصيل كافٍ عند الكلام على زيارتنا للمركز الإسلامي في (سان سلنادور)، فأحببت أن أذكر ذلك هنا مفصلاً، لكون إسلامه آية من آيات الله على أيدي أناس ليسوا من أهله الأصلاء، و إنما هداهم الله إليه هداية من عنده ﴿ **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾.

في بقعة ليست بدار الإسلام ولا بدار هجرة للمسلمين مثل السلفادور، فالدكتور (أرماندو) كان من أسرة عربية فلسطينية مسيحية عريقة في مسيحيتها، ونشأ مسيحياً ولكن الله هداه إلى الإسلام كما يتضح ذلك من حديثه الذي رواه لي بنفسه بناء على طلبي ذلك منه، قال:

والدي، وصل إلى السلفادور عندما كان عمره إحدى عشرة سنة، وكان دينه أرثوذكسي رومي، ولكنه طوال حياته كان مشرباً بالثقافة العربية الإسلامية رغم كونه مسيحياً، ووالدتي هي كاثوليكية.

كان أبي عملياً، بحكم التربية والمطالعة والممارسة يتمتع بثقافة إسلامية، حيث كان رأس العائلة والمسؤول عنها وعن كافة شؤونها، وعلاقاته مع الناس كانت تقوم على أساس هذه الثقافة، كان دائماً يمتلك الموسيقى العربية التي كنا دائماً نسمعها في البيت، وعند قدوم مغنٍّ

عربي كان يدعونا للتمتع والسماع والمشاركة في الحفلات الموسيقية والغنائية التي كان يحييها هؤلاء المغنون العرب، وكان يكون سعيداً جداً عندما يراني أقرأ الكتب التي تتحدث عن العادات والتقاليد والتاريخ والثقافة العربية، وكنت منذ صغري (منذ عمر الثلاث سنوات) أمتلك طريقة في كتابة الأحرف العربية، التي لاحقاً أصبحت سر كتابتي، حيث كنت أكتب الكلمات الإسبانية بالأحرف العربية. باختصار: فمنذ صغري والثقافة العربية تسري في عروقي دون إدراكي لها.

عندما دخلت المدرسة الماريستية (أتباع مريم العذراء) كنت أتميز بالتدين ككاثوليكي، وكنت أشارك في كافة النشاطات الدينية الكاثوليكية في المدرسة، وأحياناً كثيرة كنت أقوم بتقديم دروس عنها، كنت أرى الكاثوليكية شيئاً جميلاً وممتعاً ومريحاً للنفس، كل ذلك حتى أصبح عمري في الحادية عشرة.

لكني منذ سن الثانية عشرة تقريباً، تركت كل الحب والإيمان في الكاثوليكية وكل شعائرها، لأنني لم أعد أقتنع بوجود « ثلاثة آلهه » أو «إله بالتثليث ». وهكذا أصبحت بدون ديانة، عدا عن بعض الارتباطات والمناسبات الاجتماعية التي تفرض عليَّ المشاركة في الحضور لقدَّاس ما بمناسبة ما لشخص ما.

دخلت الجامعة عندما كان عمري ستة عشر عاماً، ولم أكن أمتلك من الدين الكاثوليكي سوى الارتباط الاجتماعي. نشاطاتي في الجامعة كانت بالأساس علميّة، سياسية وبحثية، حيث عندما أصبح عمري سبعة عشر عاماً أرسلت لشراء مجموعة الكتب المتعلقة بالفيزياء والكيمياء من اليابان، حيث كانت هذه المجموعة تتألف من ثمانمائة كتاب بأسعار رخيصة.

وهكذا عشت لفترة ثقافة، عادات وتقاليد عربية في البيت . علم، بحث وسياسة في الجامعة، بلا ديانة سوى الجانب الاجتماعي. شعرت خلال تلك الفترة بأن الأشياء تسير على ما يرام.

لكن شيئاً ما كان يدفعني باتجاه روحي، فأصبحت أطالع الكتب عن الديانات المختلفة منذ السنة الجامعية الثالثة، وقرأت ما يزيد على أربعمائة كتاب تتعلق بأمور مختلف الديانات، تاريخها، تقاليدها، شعائرها...إلخ. وتوفي والدي وأنا في السنة الجامعية الرابعة.

عام ١٩٧٢ ذهبت في كورس بحثي في البترو كيمياء إلى إفريقيا، حيث ذهبت إلى كلٍّ من المغرب، الجزائر، مالي، موريتانيا والسنغال، وهي أول مرة في حياتي أعيش في بلدان ذات أغلبية إسلامية، وكنت أدخل إلى المسجد كسائح وليس للصلاة.

هناك، في البلدان المذكورة اشتريت كتباً كثيرة تتحدث عن الإسلام بمختلف المعاني، وكانت تلك الكتب باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية، وحتى حينه لم أكن أعرف عن الإسلام شيئاً، بل إن معرفتي عن الإسلام كانت معرفة غير مباشرة، من خلال التربية العائلية التي اكتشفت لاحقاً بان كافة ممارسات والدي وتربيته لنا مأخوذة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، مثلا: لا تدخلوا البيوت إلا بإذن أهلها، مرافقة الزائر حين خروجه حتى باب البيت، الرجال قوامون على النساء.....إلخ .

بعد هذه الزيارة للبلدان المذكورة، وبعد قراءة تلك الكتب الإسلامية أصبحت أقول عن نفسي بأنني مسلم، دون أن أكونه، و أجريت عملية الطهور وعمري سبعة وعشرون سنة، وهكذا بدأت أدرك بأن عادات وتقاليد عائلتي هي إسلامية وأن الإسلام هو دين لي، وأحمله في قلبي

وعقلي، حيث إنني - كما ذكرت - كنت قد قرأت ما يزيد عن أربعمائة كتاب عن مختلف الديانات الأخرى، ولم أقتنع ولم أومن بأي منها.

كنت على علاقة صداقة مع الأخ صفوة بن الخطاب، سكرتير السفارة المصرية في السلفادور في ذلك الوقت، فطلبت منه أن يعلمني الصلاة، بعدها بدأت أصلي ولكن ليس دائماً الخمسة فروض، كما أقمت علاقات صداقة مع إخوة مسلمين في غواتيمالا وبنما، حيث لم يكن هناك مسلمون في السلفادور.

عام ١٩٧٩ بدأت بصوم شهر رمضان المبارك، لكنني في ذلك العام كنت أصوم عن كل شيء إلا عن الماء، حيث لم أتحمل العطش في البدء. أما عام ١٩٨٠ فقد صمت عن كل شيء بمافيه الماء، لكنني أفطرت ثلاثة أيام. لكنني منذ عام ١٩٨١ وأنا أصوم الشهر كاملاً، بل وأحياناً أقوم بالصيام لبضع أيام في أوقات مختلفة.

وهكذا، عندما شعرت بأنني مسلم تماماً قمت بالبحث عن مسجد لأعلن شهادتي فذهبت يوم ١٩٨٣/٨/٩ إلى المركز الإسلامي في كالينورنيا الجنوبية - الولايات المتحدة، والتقيت مع فضيلة الشيخ مصباح الدريني (وهو مصري الجنسية)، وقمت بإعلان شهادتي في ذلك المسجد يوم ١٩٨٣/٨/١٠ على يدي فضيلة الشيخ المذكور، ومنذ حينها لازلت أمتلك شهادة إيمان، أي شهادة بإعلان إسلامي، ثم طلبت من فضيلة ذلك الشيخ صحيح البخاري للأحاديث النبوية الشريفة الذي يتألف من تسعة مجلدات، فأجابني: كيف يمكن لمسلم جديد أن يبدأ بقراءة كل هذا؟ وقام بإهداء كتاب « الأربعون حديثاً » فتقبلته، ولكنني قمت بشراء ستين كتاباً إسلامياً باللغة الإنكليزية التي أجيد قراءتها وفهمها، وهكذا أصبحت أبحث عن المراكز الإسلامية أثناء ترحالي، وأزور المساجد المختلفة وأصلي

فيها.

أثناء إحدى سفراتي إلى بنما، زرت فيها مسجداً جميلاً ممولاً من ليبيا وبعض ميسوري الحال، وأغلبهم من أصول هندية وباكستانية، وكنت أناقشهم هم وغيرهم دائماً حول ضرورة القيام بدعوة أهالي البلاد الأصليين إلى الإسلام، ولكن رأيهم كان يكون دائماً هو استرداد المسلمين ذوي الأصول الإسلامية، لكن بعضهم عندما لاحظوا تصميمي على رأيي عرضوا علي منحة للذهاب إلى الهند لفترة بضعة شهور لمزيد من التعرف على الإسلام، والتحدث مع الشيوخ هناك، لكنني لم أكن أملك الوقت.

كما ذكرت، كنت أقيم علاقات صداقة مع المسلمين خارج السلفادور لعدم وجود مسلمين في حينه، أو على الأدق هم قلة شحيحة وضائعة، فقد زرت مساجد في كل من فنزويلا، كولومبيا، كوراساو، الولايات المتحدة، غواتيمالا، وبنما، وكلها والحمد لله صليت فيها. وخلال هذه الفترة كنت أصلي في بيتي حيث أمتلك في كل بيت مصلية (سجادة)، ولاحقاً اشتريت سجادتين لمكتبيَّ الرئيسيين. انتهى كلامه.

وكتب إليَّ الدكتور بقيلة ما يلي:

فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرسل لكم أسماء أعضاء الجالية ذات الأصل العربي الذين ساهموا معنا في تكاليف الملف الصحفي الخاص عن الثقافة العربية الإسلامية، وهاهي أسماؤهم:

أ- أسماء الأشخاص الذين ساهموا من خلال الإعلانات التجارية:

١- الخريج خورخي سابلا - توتشي.
٢-الدكتور أرماندو بقيلة قطان (مسلم).
٣- دون ألفريدو حزبون.
٤- الدكتور فيكتور سلهي ز.
٥- دون سلفادور إيميليو بندق.
٦- دون ريتشارد عصفوره ز.

ب- أسماء الأشخاص الذين ساهموا بالدعم المالي:

١- دون أوسكار أنطونيو صافيه ز.
٢- دون خورخي إيميليو زيدان ب.
٣- المهندس فرانسيسكو ميغيل ز.
٤- الدكتور أرماندو بقيلة قطان (مسلم).
٥- دون خورخي إلياس بهايا غ.
٦- دون خورخي بها ياهيها.
٧- دون ألفونسو سابلاد.
٨- الدكتور فيكتور خورخي ساكا .
٩- دون إيميل غطاس.
١٠- دون خيمي زيدان ك.
١١- الخريج رولاندو خ. سيمان.
١٢- دون خورخي دورة.
١٣- الخريج ريكاردو سيمان د.
١٤-دون علي شلبي (مسلم).
١٥- المهندس خورخي حزبون م.
١٦- دون إيميليو سابلا هـ .
١٧- دون خيمي دحبورة.
١٨- دون حسين عبد اللطيف (مسلم).
١٩- دون ألخاندرو مُهُر.
٢٠- دون سمعان خوري.
٢١- السادة بيهيت إخوان.

جـ أسماء الأشخاص المسؤولين عن التحرير والمعلومات:

١- الخريج روي ألفونسو أرتشيلا (مسلم).

٢- حسين عبد الطيف (مسلم).

د- المنسق، الناشر والمسؤول عن الملف الصحفي الدكتور أرماندو بقيلة قطان - المركز الإسلامي العربي السلفادوري.

أيها الشيخ الفاضل:

نودّ أن نحيطكم علماً بان وقع الملف الصحفي المذكور كان حسناً جداً، حيث أعاد إيقاظ المشاعر العربية لدى الجالية ذات الأصل العربي، وأصبح الكثير من أعضائها يمتدحون المركز الإسلامي على هذا العمل الرائع، ويطالبون بنشر ملفات أخرى، والأهم أن وقع الإسلام لديهم رغم أنهم كلهم مسيحيون أصبح وقعاً مستحسناً ومشجعاً. وكذلك ظهرت الجالية ذات الأصل العربي موحدة أمام الحكومة والشعب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذا وقد أصبح المركز الإسلامي السلفادوري منذ أن نشر الملف الصحفي عنه مرجعاً للباحثين عن المعرفة بالإسلام، وساعدت طريقة صاحبه ومنشئه الأخ المهندس أرماندو بوكيلو (أحمد بقيله) على ذلك، إذْ لم يكن يعنف من حضر إلى المركز ولم يقتنع بالإسلام، أو بما عرفوه منه، فكان يعرض المعرفة لأول مرة في جو من الحرية التي ألفها القوم في هذه المنطقة، ويقول لهم: كما أنتم أحرار في ترك الدين الذي كان عليه آباؤكم، فانتم بطبيعة الحال أحرار في اعتناق الدين الذي تطلعون عليه الآن.

بل إنه كان يأذن حتى لغير المسلمين بالصلاة مع المسلمين من باب الاطلاع ومعرفة كيف يصلي المسلمون، ويعلل ذلك بأن هذه هي الطريقة المثلى لاجتذاب أمثال هؤلاء القوم الذين عاشوا في جو لا يذكر فيه الإسلام بخير، لأن اليهود وبعض أصحاب الأهواء من دعاة النصرانية قد ألصقوا

بالإسلام أشياء ليست منه، وألحقوا به زوراً وبهتاناً نقائص وعيوباً هو منها براء.

ولم يقتصر الأمر على هذا الذي وفره المهندس (أحمد بقيله) لمن يرتادون المركز يبغون المعرفة بالإسلام، وإنما صار يرصد ما ينشر في الصحف أو حتى في المنتديات من الأشياء أو المفتريات التي تلصق بالإسلام، فيرد عليها في الصحف، وحتى يكتب لرئيس الجمهورية عن ذلك.

وقد أطلعنا بعد زيارتنا للسلفادور بفترة على رسائل للمركز في هذا الموضوع، ومنها رد على المدعو (أوريغو كاندراي) الذي افترى على الإسلام في بعض الصحف السلفادورية.

اليوميات

من بيليز إلى سان سلفادور:

غادرنا بيليز مع شركة (تاكا) السلفادورية للطيران في الساعة الثالثة والدقيقة الثالثة والأربعين عصراً، وكان الموعد المقرر لقيام الطائرة هو الثالثة والدقيقة الأربعون، فتأخرت الطائرة عنه ثلاث دقائق، ومعنى هذا أنها قامت في موعدها المقرر سلفاً على وجه التقريب.

وحالما نهضت من المطار صارت تطير فوق ضاحية المدينة الشمالية التي يشقها نهر بيليز بمياهه الصافية التي تبدو سوداء من الطائرة وكأنما هي مياه بحرية، ثم اخترقت الطائرة سحاباً أسود ثقيلاً كان يرين على الأفق.

وكانت الضيافة المعتادة منهم في مثل هذه الرحلة القصيرة وهي كيس صغير من النقل وهو المكسرات ومعه عصير البرتقال.

وقد وصلت الطائرة إلى منطقة ملبدة بالسحب الثقيلة وهي فوق منطقة جبلية، لذلك اضطربت الطائرة وصارت تتمايل في اضطرابها وكأنها السفينة التي تتقاذفها الأمواج، ولم يهدأ اضطرابها حتى شمرت عن ساعديها العاريتين وتخلصت من تلك السحب الثقيلة بأن ارتفعت عنها فخف لهاثها، وصارت تطير بين طبقتين من الغيم: تحتها السحب الكثيفة وفوقها غيم شامل خفيف، ولم يدم ذلك منها طويلاً بل وصلنا إلى قرب (سان سلفادور)، فنزلت الطائرة من عليائها وصارت تتدنى وهي تتدلى فوق ارض سلفادور السندسية العجيبة المنظر، وظهرت البحيرة التي تقع إلى الغرب من العاصمة تحيط بها الجبال الخضر التي لا نرى منها إلا أشجارها، فكأنها الأشجار الخضر المتراكمة التي يركب بعضها بعضاً أو التي يتطاول بعضها على بعض.

ثم ساحلت الطائرة، بمعنى أنها صارت تطير فوق ساحل البحر وهو

هنا المحيط الهادئ العظيم الذي نعرفه في بلادنا في جهة الشرق، وقد صار الآن في جهة الغرب من السلفادور.

العجيب الغريب في هذا الساحل البحري أنك ترى الأرض من الطائرة الملاصقة للشاطئ أو القريبة من أن تكون كذلك وهي خضرة خضرة البساتين الريانة، وذلك لكثرة الأمطار التي تغسل أرضها وتذهب بالملوحة فيها إلى مياه المحيط.

وقد زاد المنظر روعة أنها إلى جانب هذه البسط الأرضية السندسية القريبة من البحر توجد أمواج المحيط التي لا تفتؤ تغسل رمال الشاطئ، ويثير غسلها ذلك رغوة بيضاء كرغوة الصابون ممتدة مع امتداد الساحل.

ثم تياسرت الطائرة وكانت قبل ذلك تطير شمال العاصمة مولية وجهها شطر الجنوب، وقد زاد انخفاضها قاصدة مطار السلفادور الذي يمكن أن يسمى بذلك كما أسماه أهله حيث: أضافوه إلى البلد كلها، ويمكن أن نسميه في عرفنا بمطار (سان سلفادور) إضافة إلى العاصمة (سان سلفادور).

في المطار السلفادوري:

هبطت الطائرة في مطار (السلفادور) ولا بد من ملاحظة أن الهمزة في أوله مكسورة إذا كنا نحكيه كما يلفظ به أهله وكما هو مكتوب عليه، أما إذا كنا نقصد ترجمة اسمه فإنه يكون بفتح الهمزة، لأن (إل) في أوله هي أداة التعريف بالإسبانية للمفرد المذكر وهي بكسر الهمزة قبل اللام، أما إذا ترجمناها وقصدنا بها (أل) التعريف في العربية فإننا نفتح الهمزة.

وعلى أية حال فإن باب القطر السلفادوري قد فتح لنا منذ أن فتحت

المضيفات السلفادوريات باب الطائرة للخروج.

مطار السلفادور

وكان هبوطها في الرابعة والنصف وخمس دقائق بعد ٥٠ دقيقة من الطيران.

ألقموا الطائرة باب دهليز جيد، ووصلنا بسرعة إلى الجوازات، وكانت التي على المكتب الذي وقفنا عنده ضابطة أبقت جوازي بين يديها فترة تتأمله وتتفرج برؤيته ثم ختمته، لأنه ليس فيه ما يستدعي التوقف غير غرابته وغرابة الملابس العربية في صورتي فيه، وإلا فإنني أحمل سمة دخول سياسية (دبلوماسية) من سفارتهم في مدينة مكسيكو.

وعند ضابط الجمرك رأيتهم يشددون على الناس في التفتيش أي لا يتسامحون في المرور من دون تفتيش، أما التفتيش نفسه فإنني لا أدري عنه شيئاً لأننا لم نقف عندهم وهم ثلاثة رجال وامرأة في متوسط العمر، صدف أن مررنا بها فأفسحت الطريق بسرعة بسبب جوازي (الدبلوماسي).

وكذلك نفعنا الجواز عند الخروج من ركن الجمرك لأن فيه موظفين يتسلمون بعض الأوراق التي كان الركاب قد ملأوها متعلقة بالجمرك أو يطلعون عليها.

والجميع يتسم عملهم بالدقة والمرونة، وهم مهذبون مع القادم كما رأيتهم.

ومن هناك قبل الخروج من مبنى المطار وقفنا عند مكتب لخدمة السياح لنسأل عن فندق نحجز فيه، لأننا ليست لدينا معرفة بالفندق المناسب الذي سنسكن فيه، فوجدنا التنظيم العجيب المريح، فقد بسطوا أمامنا قائمة مكتوبة بالإنكليزية للفنادق، وأمام كل واحد منها الأجرة الليلية التي يتقاضاها عن الغرفة.

وقد طلبنا منهم أن يختاروا فندقاً في قلب المدينة التجاري، فأشاروا إلى اسم واحد وهو (فندق ريتز) الذي يقع في قلب المدينة كما أخبرونا، وأجرة الغرفة فيه ٣٣ دولاراً أمريكياً، وهذا سعر رخيص بالنسبة إلى أسعار الفنادق في بيليز.

وسألتهم عن أجرة سيارة الأجرة من المطار إلى الفندق، فذكروا رقماً استكثرته وهو (١٤) دولاراً أمريكياً، إلا أنني عرفت بعد ذلك أن هذه الأجرة قليلة لبعد المدينة عن المطار، إذ تبعد عنه ٤٨ كيلوا متراً في أرض جبلية غير مستوية، بل هي مليئة بالمنخفضات والمرتفعات، وإن كان الطريق جيداً بحيث لا يحس الراكب بذلك، وإنما يراه.

وخرج معنا موظف رسمي يطمئن على ركوبنا في سيارة الأجرة التي وجدنا صاحبها سمح الوجه، يحمل على صدره بطاقة مدلاة تدل على أنه يحمل رخصة العمل ما بين المطار والمدينة، وهذا من باب التوثيق إضافة إلى كون الموظف من مكتب السياحة قد حضر معنا، ووقف حتى سرنا بالسيارة من عنده.

من المطار إلى العاصمة:

والسبب في تخصيص عنوان لهذا الموضوع الذي لا يستحق عنواناً في الأحوال المعتادة هو ما ذكرته عن طول المسافة وللمفاجأة التي سببتها لي رؤية هذا الطريق على غير ما تخيلته، إذْ لم يحدثني عنه أحد من قبل.

انطلق السائق الرسمي بسيارته، والمراد برسميته أنه يحمل بطاقة رسمية معلقة على صدره، وذلك بطبيعة الحال آمن للراكب وأدعى لاطمئنانه، وجعل يتكلم بالإسبانية كلاماً معتاداً فسألته عما إذا كان يعرف الإنكليزية فنفى ذلك، فرجعت إلى كلمات وجمل قليلة من الإسبانية فصرت أتكلم بها معه.

ومن ذلك أنني سألته عن الأمن هنا فقال: اللصوص قليل، لأن الشرطة كثير.

وقد سارت السيارة مع طريق غاية في الجمال بل الروعة، وليس ذلك لطيب حالة الطريق وحدها فهي جيدة، ولكن لطيب المنطقة التي تخترقها، فهي خضراء غاية في الخضرة، وهي تتألف من ربى مجللة بالاخضرار تطل عليها جبال غير بالغة الارتفاع ولكنها بالغة الخضرة.

وينتقل البصر فيها مع انحدار السيارة مع الطريق من ربوة خضراء إلى وادٍ أخضر، وقد بنوا الطريق على الأنموذج الحديث بحيث سهلوا من الأماكن المرتفعة ودفنوا بعض الأماكن المنخفضة فصار سلساً مريحاً.

ويرى المرء المنطقة المحيطة بالطريق تخترقها في بعض الأحيان وديان أو مجاري مياه لا ترى منها إلا الأشجار الملتفة بحيث لا تعرف طبيعة الأرض لأنها كلها مكسوة بالخضرة الشاملة. إلى جانب جبال ذات شعاب مما جعلني أعرف سر بقاء الثورة اليسارية سنوات طوالاً من دون أن تستطيع

الحكومات المتعاقبة التي يقودها بل يدربها الأمريكيون من القضاء عليها.

وذلك أن الثوار يستطيعون أن يختفوا في شعاب الجبال وإذا اضطروا إلى الانتقال منها أو التنقل في غيرها كان لهم من أشجار الغابات ومن التفاف النبات جنات - جمع جنة بكسر الجيم - وهي الستر الكثيفة.

وبينما كنت أمتع نظري وفكري بهذه المناظر كان السائق يثرثر بما لا أفهمه من الإسبانية حتى إذا فطنت لكلمة يقولها بين كلامه المتلاصق الكلمات أعدتها عليه، فظن أنني فهمت كل كلامه، فزاده ذلك ثرثرة إلى ثرثرته.

غير أنني لم أكن أعجز عن أن أتبادل معه فهم بعض الكلمات والجمل، لأن اللغة الإسبانية مثل البرتغالية في سهولة تعلم لغة المخاطبة فيها، بخلاف لغة الكتابة أو اللغة الأدبية فإنها صعبة.

وقد لاحظت أن الذي لا أعرفه بالإسبانية كنت أعبر عنه بالبرتغالية فيفهم مني ذلك بسرعة، مثل (لادرو) بمعنى اللص فهو في اللغتين سواء، ولا غرو في ذلك لان أساس اللغتين الإسبانية والبرتغالية واحد كما هو معروف.

والحقيقة أن هذه البلاد السلفادورية لم توصف في بلادنا العربية بما تستحق أن توصف به من جمال، وهذا ما اتضح لي منها منذ الآن، كما أنها لم توصف بما يتحلى به شعبها من بساطة وحسن معاملة مع الأجانب، وهذا ما اتضح لي بعد ذلك.

وإنما كان الذي لدينا في البلدان العربية عنها أنها بلاد استوائية مختلطة الأعراق والألوان كدرة السمات، وأهلها مغرمون بالثورات والحروب المتواصلة.

ولقد عجبت وأنا الذي زار العالم كله وتجول في المناطق الاستوائية

من أن تكون هذه البلاد استوائية بمعنى أنها واقعة داخل الدائرة الاستوائية وإن لم تكن واقعة تحت خط الاستواء.

مدينة سان سلفادور:

ومعنى اسمها: (القديس المنقذ)، لأن سان هو قديس عندهم. وسلفادور: المنقذ، ويريدون به المسيح عليه السلام، وإذاً يمكن أن يترجم اسمها ترجمة فقهية بأن معناه: مدينة المسيح.

وصلنا طلائع المدينة وقد جللت الأفق الغربي سحب سود كثيفة، فقلت للسائق: (منشوشوف). أي مطر كثير، فقال: لا مطر، لأن موسم المطر لم يحن بعد.

وقد انحدرنا إلى المدينة مع انحدار تلة من التلال الخضر التي تتألف منها المنطقة، وتبين أن هذا الانحدار سيكون إلى ارتفاع داخل المدينة، وقد تسلقت الأحياء الشعبية غير الوجيهة أقدام التلال الخضر حتى بدا بعضها كأنه الكتب المصفوفة في رفوف بعضها فوق بعض.

ولاحظت أنه مع وجود هذا الجو الجميل والمناظر الجميلة فإن هناك أكواماً من القمائم في الأماكن المتسعة من الشوارع والأرصفة حتى شوارع الأحياء المتعلقة بأذيال التلال ملقاة على هيئة التجميع، كأنها تنتظر من ينقلها، ولكن من الواضح أنها كانت كذلك فتركت حتى أحرقت في مكانها لأن رماد قمائم سابقة يكسو ما حولها.

وبعد الانخفاض الذي أوصلنا إلى طلائع المدينة من جهة المطار وهي أطرافها من جهة قلبها التجاري بدأ الارتفاع مرة ثانية وسط بيوت ترتفع أيضاً مع ارتفاع الطريق، وقد أصبحنا في المدينة نفسها.

هذا وقد نزل المطر مدراراً واستمر منهمراً، مما اضطر معه السائق

إلى مواصلة مسحه من زجاج السيارة بالمساحات الكهربائية التي كانت تشوش علينا المناظر لا سيما مع المطر والظلام الذي جلل الأفق من ظلام السحاب وظلام الغروب.

واستمرت أحياء المدينة المتعددة في الصعود والهبوط وسائق السيارة يتلوى مع تلوي الطريق بين هذه الأحياء، مما جعلني أشعر بأننا قد غبناه حينما رضي أن ينقلنا بأربعة عشر دولاراً من المطار إلى المدينة.

ووصلنا القلب التجاري للمدينة ذي المتاجر المتراصة والأرصفة الجيدة المزدحمة بالناس الذين ألجأهم المطر الغزير إلى الاحتماء بأصول الحيطان التي تظللها شرفات الأبنية. وكأنما كان المطر الغزير فاجأهم كما فاجأ سائق سيارتنا لأنه نزل قبل موعده بأيام.

ووقف عند باب الفندق الذي نقصده وهو (فندق ريتز) ولكن المطر كان شديداً إلى درجة أننا لم نستطيع حتى الانتقال منها وهي واقفة أمام بابه في موقف خاص به إلا بعد أن أحضر عامل فيه شمسية أو إن شئت قلت: مطرية كبيرة نزلنا في ظلها إلى الفندق.

وتلفتّ ألقي نظرة على هذا القلب التجاري فوجدته جيداً إلا أن الظاهرة الموجودة في بلاد الملايو وبلاد الهنود الأمريكيين، وهي البيع على الرصيف تبدو هنا بشكل ظاهر، وقد انزوى الباعة وكوموا بضائعهم عن المطر.

وجدنا في مكتب الاستقبال في الفندق فتى سلفادورياً لا يعرف إلا الإسبانية، فلا يعرف من الإنكليزية شيئاً رغم كون الفندق كبيراً وواسعا ومشهوراً هنا، ومستواه مستوى ثلاث نجمات جيدة أو أربع غير جيدة.

ولكن تبين أن هذا الفتى على غاية من الرقة وحسن المعاملة

والبساطة في التفكير شأن الكثير من أهل البلاد.

أرانا الفتى قبل أن يسجل نزولنا الفندق غرفه فوجدناها واسعة جيدة، في كل غرفة سريران وتلفاز ملون وهاتف ومكيف، وجميع مرافق الفندق واسعة لأنه قديم، إلا أنها غير مفروشة والأجود من ذلك أنه على نظافة الغرف فإن أجرة الغرفة الواحدة هي ٣٢ دولاراً أمريكياً.

ولو قسنا هذه الأجرة بأجرة فندق بيليفيو في (بيليز ستي) لكان هذا يستحق مائة وخمسين دولاراً على الأقل.

نزلنا في الغرف مسرورين، والأهم من ذلك أننا شعرنا شعوراً وافياً بالأمان الذي كنا نتخوف من ألا نجده في هذه البلاد التي كانت مضطربة في القديم.

ونزلنا للتمشي حول الفندق ولكن المطر وهجوم الظلام منعنا من ذلك.

وعدنا للغرف التي لا بد فيها من المكيف، لأن فتح النوافذ التي وجدناها زجاجية عريضة يخشى أن تدخل منه حشرات لاسعة، ولذلك لا بد من تشغيل المكيف للتبريد وتبديد الرطوبة.

يوم الثلاثاء ١٤١٤/١٢/٢١هـ ١٩٩٤/٥/٣١م

صباح السلفادور:

بدأ صباح السلفادور بإزاحة الستارة عن النافذة وهي نافذة زجاجية واسعة تغطيها ستارة ضافية.

وتطل النافذة على شارع فرعي قد نهضت منه أشجار غير كثيفة الفروع، والبيوت في المنطقة متعددة الطبقات ولكنها ليست عالية، وذلك بأن منطقة السلفادور تعتبر منطقة غير مستقرة تصيبها زلازل، ومن أجل ذلك لا يرفعون طبقات الأبنية عالية إلا بمقدار.

ونزلنا إلى مطعم الفندق فكان إفطارهم جيداً من البيض والخبز وعصير البرتقال الطازج ثم القهوة أو الشاي وثمنه ٢٢ كولوناً، ويساوي ذلك ثلاثة دولارات إلا قليلاً، والمطعم نظيف والخدمة فيه جيدة.

وبقية الصباح كان في الخروج إلى التمشي على الأقدام فيما حول الفندق، فكان أهم ما يسترعي الانتباه كثرة البسطات وهي البضائع القليلة التي يعرضها أصحابها على الرصيف، والغريب أنها قد شملت الرصيف كله بدون استثناء، وهذا الرصيف تفتح عليه الحوانيت (الدكاكين) والمحلات التجارية، والذي يريد الوصول إلى تلك المحلات يصعب عليه اختراق هذه (البسطات) فيلجأ إلى ممر زقاق أو شارع متفرع من الشارع العام.

وأكثر الباعة هنا من النساء مثلما عليه الحال في إفريقية وأقطار الهند الصينية وما جاورها، وهي العادة نفسها الموجودة بكثرة لدى هنود الإنديز.

لقد خرجت دون أن آخذ المصوِّرة (الكاميرا) وذلك لكوني لا أعرف

مستوى الأمن في المدينة، وأخاف عليها من الاختطاف. والتأمل في هؤلاء البائعات يخرج منه المرء بأنهن لسن من الجميلات، ولا شك أن جزءاً من ذلك يرجع سببه إلى موقع البلاد من خط الاستواء.

مع أن أكثرهن من المختلطات اللاتي ولدن ما بين الهنود الأمريكيين من السكان الأصلاء وبين الأوروبيين الجنوبيين من الذين يسمون اللاتينيين - نسبة إلى لغاتهم التي يتكلمون بها التي يرجع أصلها إلى اللغة اللاتينية -.

هذا وفيهن طائفة من نساء الهنود الخلص وهم السكان الأصلاء، والغالب عليهم عدم الوجاهة والنضارة.

ولاحظت أنه ليس عليهن أي شيء من الخفر أو الحياء الذي يميز المرأة عن الرجل، فالواحدة منهن تتعامل مع الناس ويتعاملون معها كما يتعاملون مع الرجل، حتى الأصباغ والتأنق في اللباس اللافت لنظر الرجال لا يوجد عندهن.

وبضائعهن أكثرها الفاكهة والخضرات، وأقلها الملابس الجاهزة الرخيصة، والأحذية والأدوات المنزلية الصغيرة، وهي على وجه العموم بضائع رخيصة وتحتاجها عامة الناس.

وأما الفاكهة والخضرات فإنها في غاية الرخص، وكلها مما تنتجه بلادهم، وذلك لوفرة المياه وكثرة الأمطار ورخص الأيدي العاملة، فمثلاً كيلو الدراق الجيد بأربعة كولونات وتساوي أقل قليلاً من نصف دولار، وثمرة (أبوكافوا) الكبيرة الجيدة بكولونين أي ربع دولار، إذْ كنا صرفنا الدولار الأمريكي في البنك بتسعة كولونات إلا ربعاً.

ورأيتهم يقطعون ثمار الباباي والأناناس الطازج قطعاً يبيعون الواحدة التي يأكلها الشخص الواحد مباشرة بكولون واحد.

ومن فاكهتهم أنواع لا نعرفها، وبعضها نعرفه ولكنه من نوع غريب مثل القرع الذي وجدت عندهم منه نوعاً صغيراً في حجم البرتقالة الكبيرة.

ولاحظت أن ألواننا ليست موضع استغراب لكثرتها عندهم، ولكن التقاسيم العربية غير موجودة على وجوههم.

أما تقاسيم وجوههم فإنها مما لا يرتاح نظر العربي إليها، فالوجنات العالية الضخمة، والوجوه الغليظة على أجسام قصيرة أو متوسطة، وعدم التناسب أحياناً في حجم التقاسيم مثل العيون الصغيرة في وجه كبير، أو الأنف الصغير في مثل ذلك الوجه، هو مما لا يحب النظر العربي أن يكرره فيه، وأكثر مايميز هذا الجنس ضخامة الصدور والأعجاز في النساء، وقلة الرشاقة فيهم جميعاً، فضلاً عن عدم وجود النحافة.

ولا يرى المرء بينهم أسود سواد الإفريقيين، ولا ما يقرب من ذلك، كما أن الأبيض بياض الأوروبيين قليل، والمراد بذلك هؤلاء الموجودون في السوق الآن، وأما في سلفادور كلها فإن البيض الخلص كالأوروبيين موجودون ولكن على قلة، بخلاف الذين بياضهم كبياض العرب فإنهم موجودون بكثرة.

وأما مظاهر الكفاف في المعيشة فإنها أحسن منها في (بيليز) فالفقراء المدقعون قليل، إلا أن الطبقة الفقيرة أو لنقل غير الغنية هي كثيرة العدد، يتجلى ذلك في اللباس وفي عدم مظاهر الزينة الغالية لدى النساء.

ولا يسمع المرء هنا أية لغة غير الإسبانية التي هي لغة أمريكا الوسطى كلها ماعدا (بيليز)، ولغة أمريكا الجنوبية ماعدا البرازيل.

يوم الأربعاء : ١٩٩٤١٦١١م

إلى المركز الإسلامي:

جهدنا أمس في أن نجد من نتصل به من الإخوة المسلمين الذين نحمل عناوينهم هنا فلم نستطع، لذلك ذهبنا إلى عنوان المركز الإسلامي السلفادوري، وقد تبين أنه قريب من فندقنا ويقع على شارع مهم من شوارع العاصمة (سان سلفادور) اسمه شارع إسبانيا.

المؤلف في شارع إسبانيا في سان سلفادور

كان أهم ما يسترعي الانتباه عند الوصول إليه اللافتة التي كتب عليها اسمه.

وجدنا في المركز الأخ حسين بن عبدالعزيز عبد اللطيف وهو فلسطيني متفرغ للعمل في المركز، ويعرف اللغة الإسبانية التي هي لغة هذه البلاد.

ومهمته أن يكون موجوداً في المركز الإسلامي طيلة الوقت لكي يرد على أية استفسارات أو أسئلة يوجهها من يريدون معرفة شيء عن الإسلام، أو يريدون الحصول على كتيب أو نشرة صغيرة عن الإسلام،

وكثير منهم يكتفي في أول اتصاله بالمركز بالاستفسار بالهاتف ثم يتبع ذلك الاتصال الشخصي بالمركز.

كما وجدنا في المركز أحد الإخوة المسلمين السلفادوريين واسمه الذي سماه أبواه (تيتو باسوتو) وأما اسمه الإسلامي فهو (عبد الهادي) ذكر انه أصبح اسماً رسمياً له بمعنى أنه أثبته في الأوراق الرسمية، ويعمل أيضاً في المركز لإرشاد بني قومه السلفادوريين الذين يريدون الدخول في الإسلام أو الذين أسلموا بالفعل ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن الإسلام.

وقد أسلم قبل ثلاث سنوات وذهب إلى ماليزيا حيث تلقى شيئاً من المعرفة الإسلامية، وهو متزوج من سيدة مسلمة من أهل بيرو.

قصة المركز الإسلامي:

للمركز الإسلامي السلفادوري قصة عجيبة هي مثال صادق على أن الله سبحانه وتعالى قد يبعث لدينه ناصراً لم يكن محتسباً ولا معروفاً من قبل.

فقد هدى الله إلى الإسلام رجلاً عربياً كان مسيحياً فأسلم وحسن إسلامه، وليس ذلك فحسب، وإنما اجتهد وأنفق في سبيل الدعوة إلى الله ما لم ينفقه غيره في المنطقة.

ذلك هو الدكتور (أرماندو بقيله) ويسمونه هنا (بوكيلو)، وهو فلسطيني مسيحي أبوه من القدس وأمه من بيت لحم، وولد في السلفادور مسيحياً عريقاً في المسيحية إلا أنه ذو عقل منير وتفكير حر، فصار يتناقش في المدرسة مع مدرسي الديانة المسيحية في أمور الديانة ولا يتقبل ما يقوله المدرسون عنها تقبلاً أصم، ولم يرَ فيها ما ينشده من عقيدة فأخذ في دراسة الأديان الأخرى، فكانت أولى الديانات التي درسها بعد المسيحية

اليهودية ولم تعجبه، فدرس الإسلام دراسة عميقة حتى اقتنع بأنه الدين الحق، فأسلم وحسن إسلامه، ولم يقتصر على ذلك حتى أخذ يدعو مواطنيه السلفادوريين إلى الإسلام بطريقة يفهمونها، وذلك بأن خصص طابقاً واسعاً من مبنى يمتلكه على شارع مهم في العاصمة (سان سلفادور) وهو شارع إسبانيا بأن جعله مركزاً إسلامياً هيأ الجزء الأكبر منه مسجداً وجزءاً منه فصولاً دراسية لتعليم العربية ومبادئ الدين الإسلامي يتعلم فيها المسلمون وغيرهم، وأعلن قبل سنة وأشهر في الجرائد إعلانات بأجور مرتفعة يقول: إنه جرى لأول مرة افتتاح مركز إسلامي في السلفادور، وذكر عنوانه وأنه مستعد لاستقبال كل من يريد المعرفة عن الإسلام، وكل من يريد الدخول في الإسلام حيث يوجد في المركز من يشرح له أصول الديانة الإسلامية باللغة الإسبانية، أو حتى من يريد أن يشاهد كيفية الصلاة في المسجد.

وقد رسم سياسة المركز بأنها أولاً محاربة الجهل بالإسلام عن طريق توفير المعلومات المتاحة من غير أن يتضمن ذلك أي عمل قد يشتم منه القادم للمركز أن هناك محاولة للتأثير عليه، وسعياً لجذبه للدخول إلى الإسلام قبل اقتناعه به.

فصار الناس يأتون إلى هذا المركز مدفوعين بالرغبة في المعرفة بالإسلام والتعرف على كيفية العبادات فيه، فكان أهل المركز يكرمون وفادتهم بما أرادوه من المعرفة، ويرونهم كيف يصلون ولا يشددون عليهم بإلزامهم بكل فرائض الدين دفعة واحدة، مع أن الأمر في هذه البلاد ليس فيه إلزام بأي دين أو مذهب، للحرية الدينية المطلقة السائدة في البلاد، ولكنهم يريدون أن يدعوا الناس شيئاً فشيئاً اعتماداً على السياسة التي سار عليها الدكتور أرماندو بقيلة أو (بوكيلو) كما يلفظون بها، وهو يعرف أهل البلاد معرفة حقيقية لكونه ولد بينهم، ويدل

على معرفته بهم أنهم انتخبوه وكان قد اصبح مسلماً رئيساً لاتحاد المهندسين في البلاد، وهو الاتحاد الذي يضم ٣٢ ألف مهندس من جميع التخصصات والمهن الهندسية مع أنه مهندس كيميائي، وهذا شرف عظيم يدل على مكانته في نفوسهم، لأنهم انتخبوه انتخاباً حراً لهذه الرئاسة، ومن الطبيعي أنهم لم ينتخبوه لكونه مسلماً وإنما أردت أن أقول: إن كونه مسلماً لم يمنعهم من تقدير مواهبه وانتخابه رئيساً عليهم..

النتيجة العظيمة:

لم يمضِ على الإعلان عن المركز الإسلامي وافتتاحه إلا أقل من سنتين حتى بلغ عدد المسلمين الذين اهتدوا للإسلام على أيدي المسؤولين فيه ٣٠٩، منهم ٢٩٩ مسلماً سلفادورياً، أي من المسلمين الجدد الذين لم يكن آباؤهم ولا أسلافهم من المسلمين، بالإضافة إلى عدد من العرب الضائعين الذين كانوا من أبناء المسلمين المهاجرين القدماء في البلاد عادوا إلى الإسلام بعد أن كانوا أنسوه، وبعضهم تنصر وهو صغير على أيدي أناس من أهل البلاد.

قالوا: والمهم في الأمر أن هؤلاء المسلمين الجدد صاروا يدعون إخوانهم وأصدقاءهم إلى الدخول في الإسلام، أو على الأقل المجيء إلى المركز لاكتساب المعرفة به.

حتى وجدت في السلفادور التي لم يكن فيها نشاط إسلامي من قبل حركة إسلامية لا يوجد لها مثيل في أقطار أمريكا الوسطى كلها، لاسيما في كون المسلمين هم من أبناء البلاد الأصلاء.

وقد أخبرنا الدكتور (بقيله) - بعد ذلك - أن هدفه القريب يتمثل في بناء مسجد جامع في العاصمة (سان سلفادور) هو أول مسجد فيها يكون له مظهر المسجد في هندسته الإسلامية المميزة مثل القبة والمآذن، وهدفه

البعيد أن يكون في كل مدينة كبيرة أو صغيرة في السلفادور مسجد.

عند محراب مسجد المركز الإسلامي في سان سلفادور

مع الأخ حسين عبد اللطيف الأيمن في الصورة،

والشيخ عبد العزيز المسند

وسوف تأتى بقية الحديث عن هذا الفتح الإسلامي المبين فيما يأتي من الحديث واليوميات.

وقد أسميته فتحاً مبيناً نظراً لما تحقق في هذه المدة القصيرة من دخول هذا العدد الكبير نسبياً من أهل البلاد الأصلاء في الإسلام، ومن المعروف أن الإسلام إذا خالطت بشاشته القلوب استسهل صاحبه الصعب في الدعوة إليه، لا سيما لمن يكونون مثله في اللغة والمنشأ وظروف الحياة.

مع العلم أنه لم تمضِ على افتتاح المركز الإسلامي إلا سنة وأشهر كما سبق.

عود إلى المشاهدات:

جلسنا على مائدة في المطعم في الفناء الأرضي من المبنى الذي يقع فيه المركز الذي هو ملك للدكتور (بقيله) وهو - أي الدكتور - تاجر وملاّك

عقارات، وذلك على فنجان من الشاي لأننا تناولنا إفطارنا في الفندق قبل فترة، وإلا فإن هذا المطعم يقدم أطعمة خفيفة، ويأكل فيه المسلمون وغيرهم ولا يقدم فيه إلا الطعام الحلال.

وبعد ذلك صعدنا إلى المسجد أو الأدق المركز في الطابق الثاني فكان أول ما يلي المدخل منه مكتب الاستقبال جيد التأثيث، يستقبل فيه المسؤول عن المركز الزوار والمستفيدين، ثم مكتبة صغيرة معظمها بالإسبانية وقليل من كتبها بالعربية، ثم المدرسة وهي صغيرة فيها مقاعد خشبية جيدة وسبورة عليها كتابة بالعربية والإسبانية.

ثم المسجد أو المصلى وهو واسع نسبياً أوسع من كثير من مساجد المراكز الإسلامية التي هي بيوت اتخذت مساجد مؤقتة، وغالباً ما يتطور الأمر بأهلها إلى أن يبنوا لهم مساجد كاملة البنيان والمظهر عوضاً عنها .

ذكر الإخوة في المركز أن عدد الذين يؤدون صلاة الجمعة فيه يتراوح بين ٢٥ و٤٠ ، وذلك لوقوع صلاة الجمعة في وقت العمل عندهم ولبعد مساكن المسلمين عن المركز .

ولكن هذا العدد هو جيد بالنسبة إلى كون المسلمين أكثرهم ممن اسلموا حديثاً، ولكونه قبل سنة ونيف من الشهور لم تكن تقام في البلاد كلها صلاة الجمعة.

وذكروا أنهم يستعملون الكتب الكبيرة الإسلامية عندهم لتعليم الناس الدين، وليس للتوزيع، وإن لديهم أشرطة إسلامية مسجلة تعرض الأحكام العلمية للإسلام مثل الصلاة ، وأنهم يعرضونها كل جمعة في المسجد ويعطون من يريد منها نسخاً في أي وقت.

وبهذه المناسبة ذكروا أن المركز يدخله المسلمون وغيرهم، وأنهم يجرون فيه النقاش في كل شيء حتى إنهم قالوا إن كل كلام مباح في

المسجد إلا التجارة. هكذا قالوا.

ولذلك يحرصون على إدخال النصارى إلى المسجد ولو لم يسلموا، وإنما من أجل البحث معهم في الإسلام وإطلاعهم عليه. ويرونهم كيف يصلون.

ويأتي إلى المركز رجال ونساء ولكن دخول الرجال في الإسلام أكثر من دخول النساء، خلاف ما عليه الحال في معظم البلدان الأوروبية.

وعلى ذكر أمور اجتهدوا فيها واستعملوها في دعوة أهل البلاد إلى الإسلام ذكروا أنهم لا يريدون أن يأتي إليهم دعاة من البلدان العربية يعرفون كثيراً من أمور الدين، ولكنهم يجهلون لغة البلاد ومناحي تفكير أهلها، وقالوا: نحن نجحنا في طريقتنا، فما من بلد في بلاد أمريكا الوسطى أسلم في عاصمتها هذا العدد من السكان الأصلاء حتى مع وجود الدعاة من البلدان العربية والإسلامية فيها، وذكروا من ذلك أنهم لا يطالبون غير المسلم في بداية حضوره إليهم بأن يترك شرب الخمر، بل يطلبون منه أن يسلم وأن يترك شرب الخمر بالتدريج، يقتدون في هذا الأمر بعدم نزول تحريم الخمر دفعة واحدة في الإسلام. ويقولون: إن حال الناس في هذه البلاد مثل الجاهلية من حيث عدم اعتناقهم الإسلام.

ويقولون: إن الناس اعتادوا على شرب الخمر منذ الصغر، ولذلك يصعب صدهم عن الإسلام بمبادرتهم بتحريمها.

قالوا: وقد جربنا أناساً فعلنا معهم هكذا ولما دخل الإسلام في قلوبهم تركوها بعد أن فهموا أنها محرمة، ووجدوا من حلاوة الإيمان في قلوبهم ما أغناهم عن طلب النشوة من شرب الخمر.

ولا شك أن هذا فهم غير صحيح فيما يتعلق بتحريم الخمر، لأن من أهم مزايا الإسلام تحريم الخمر بل الكحوليات المسكرة لما تسببه من

ضرر للجسم والعقل وما تتلفه من مال، ولكن هذا اجتهادهم في خطتهم للدعوة بين أهالي البلاد الأصلاء.

ومن الطريف أننا رأيناهم كتبوا على إحدى اللافتات الأذان بالإسبانية وبالعربية وأحكاماً من أحكام الأذان بالإسبانية فقط، مثل عدد المرات التي ينبغي أن يؤذن فيها، وأحكام الصلاة مختصرة بالإسبانية أيضاً لا في العربية، وذلك لكون الجميع الذين يأتون للمركز الإسلامي يفهمون الإسبانية حتى ولو كانوا من أبناء المهاجرين العرب.

وهذه البيانات والأحكام موجهة إليهم والى أبناء البلاد، وليست موجهة إلى العرب من الزوار أو المهاجرين الجدد لأنهم يعرفونها وعددهم قليل.

كما كتبوا في لافتة أخرى سورتي الإخلاص والعصر وترجمة معانيهما بالإسبانية.

ثم خرجنا من المركز إلى الشارع لنصور اللافتة التي عليه وهي بالإسبانية (سنترو إسلاميكو أراب سلفادوريتو) أي المركز العربي الإسلامي السلفادوري، وكتبوا بجانبها كلمة (حلال) بالإسبانية إشارة إلى المطعم الموجود في المركز الذي لا يقدم إلا الطعام الحلال، ومع ذلك رأيت الذين يأكلون فيه هذه المرة وبعد ذلك أكثرهم من غير المسلمين لكونه يقدم طعاماً عربياً متميزاً رخيصاً.

ومن الطريف أن الأخ عبد الهادي قال: إن أكثر الذين يأكلون في المطعم هم من غير المسلمين كما ترى، ولكننا نسمعهم الأذان إذا حان وقته من أجل أن يسألوا عنه فنتحدث معهم عن الإسلام.

جولة في السلفادور:

كانت الجولة مع الأخ السلفادوري المسلم عبد الهادي با زوتو على سيارته التي يسوقها وبصحبته الأخ الكريم (حسين عبد اللطيف) الفلسطيني المتفرغ للعمل في المركز.

ويبلغ عدد سكان العاصمة مليوناً ومائتي ألف من مجموع سكان البلاد الذين يصلون إلى ستة ملايين نسمة.

قالوا لنا ونحن ننطلق من المركز الإسلامي القريب من الفندق الذي نسكنه وهو فندق (ريتز): إن هذه المنطقة هي القلب التجاري للمدينة (سان سلفادور) عاصمة جمهورية السلفادور، ويتألف قلب المدينة أو مركزها التجاري هذا من أبنية متعددة الطوابق، إلا أن طوابقها محدودة الارتفاع بخلاف الأحياء القريبة منه فإن منازلها تتألف في الغالب من طابق أو طابقين، والسبب في ذلك هو الخوف من الزلازل التي تعتاد المنطقة، وذلك لكون الأبنية ذات الطوابق المتعددة تحتاج إلى نفقات إضافية لكي تكون مقاومة للزلازل، ومع ذلك لا تصمد إذا أصاب البلاد زلزلة قوية.

وهذا القلب التجاري ذو شوارع متوسطة السعة أو هي ضيقة بالنسبة ألي ما أصبحنا نعرفه من الشوارع في بلادنا، ولذلك تكتظ بالسيارات ومنها بعض الحافلات التي تنفث الدخان المؤذي.

حديقة سيمون بوليفار:

سيمون بوليفار له فضل على عدة أقطار في أمريكا الوسطى وشمال أمريكا الجنوبية لأنه هو الذي قاد بعض أقطارها إلى الاستقلال عن إسبانيا، وكان يهدف من وراء ذلك إلى إنشاء دولة كبرى من هذه الأقطار مجتمعة، ولذلك يسمونه في هذه المناطق بالمحرر يعرف بذلك، ومن باب

الوفاء له سمى أحد أقطارها باسمه وهو (بوليفيا)، وسميت فنزويلا عملتها على اسمه وهي (بوليفر).

وقد مات دون أن تتحقق أمنيته في إنشاء الدولة الكبرى وإن كانت أمنيته في الاستقلال عن إسبانيا قد تحققت، وخصصوا له متحفاً في بوغوتا عاصمة كولومبيا، وقد زرت البيت الذي كان يسكن فيه هناك وذكرته في كتاب: « رحلات في أمريكا الوسطى ».

وفي هذه العاصمة السلفادورية أنشأوا على اسمه حديقة أسموها (باركي بوليفر)، (وباركي): منتزه أو حديقة مفتوحة، وتقع على شارع روزفلت وهو شارع مهم في وسط المدينة.

والحديقة حديثة التنسيق كثيفة الأشجار، وهي تبدو كذلك من كون أشجارها وارفة الظلال.

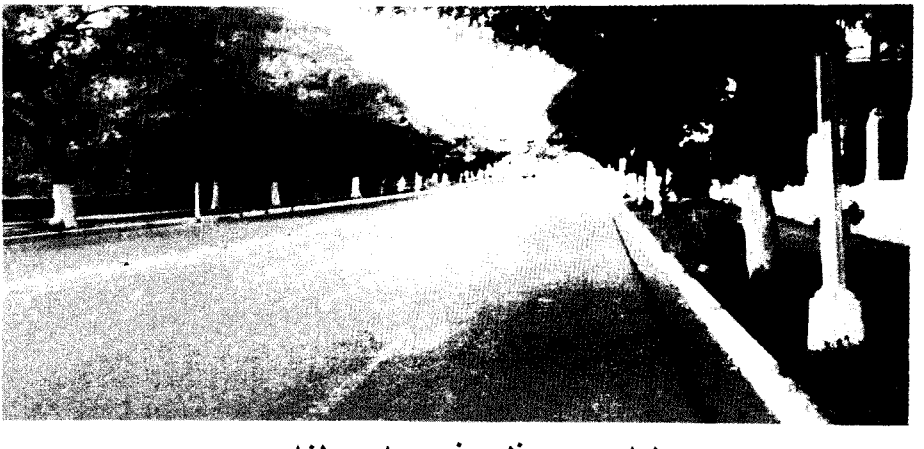

شارع روزفلت في سان سلفادور

وينبغي أن نتذكر هنا أن الأمطار غزيرة ولا تكاد تخلفهم، لذلك تبدو البلاد كلها كأنما هي حديقة كبيرة. ولذلك أيضاً لا يحتاج إلى جهد في إنشاء الحديقة واستمرارها، لأنها تشرب من (ضرع السماء) على حد قول أحد الظرفاء.

وفي شارع روزفلت هذا فندق مشهور اسمه فندق (الميدا روزفلت) وقصر مهم جداً لأنه قديم البناء اسمه (فنتو روسو) ومعناها (قصر الحظ) كما أخبرونا، وهو ذو طلاء أبيض وهندسة خاصة متميزة، له أبراج بيض تشبه أبراج الكنائس القديمة ويعلوه صليب.

تمثال السلفادور:

وهو الذي سميت البلاد باسمه، ومعناه: المنقذ، والمراد به عيسى عليه السلام وقد كثرت الأسماء التي سميت بسلفادور في أمريكا الجنوبية والوسطى، فمن الأماكن التي رأيتها وتجولت فيها مما له اسم (السلفادور) هذه الجمهورية التي نحن فيها اسمها (السلفادور)، واسم عاصمتها (سان سلفادور) بمعنى سلفادور المقدس. ومدينة مهمة في شرق البرازيل اسمها (سلفادور) وهي عاصمة ولاية بهية في الوقت الحاضر، وكانت عاصمة للبرازيل في وقت مضى، وقد تكلمت عليها في كتاب « شرق البرازيل ».

وتمثال (السلفادور) هنا يشبه التمثال الذي وضعه البرازيليون لعيسى عليه السلام على قمة إحدى الجبال الخضر التي تحيط بمدينة (ريودي جانيرو) أجمل مدينة في العالم أو تتناثر حولها ويسمونه (كوركوفادو) ولا أعرف معناه، ولكن صار اسم الجبل أو القمة التي يقع التمثال فوقها (مونت خريستو) ومعناه جبل عيسى، بعد أن وضعوا عليه التمثال.

فالتمثال هنا وهناك جعلوه باسطاً ذراعيه كالمرحب بمن يقبل عليه يريد أن يحتضنه.

وقد وضعوا التمثال في ميدان صغير زرعوا فيه زهوراً جميلة.

والخضرة كما قلت وكررت لا تستغرب هنا لغلبتها حتى بدون أن يقصد الناس وجودها، وقد رأيت عجباً أمس في حافات شوارع في المدينة

خارج قلبها التجاري المزدحم بقراً ترعى حشائش الرصيف، والمراد بذلك مكان الرصيف العريض من الشارع، لأن تلك الشوارع في الضواحي لا أرصفة لها، وإنما جعلتها الحشائش الخضر كأنما زرعت.

واسترعى انتباهي هنا منظر بعض الواقفين الذين يبدو أكثرهم كأنما هو من القرويين وقد وقفوا في بعض محطات الحافلات وبدت أشكالهم وتقاسيم وجوههم تشبه أشكال المغول وتقاسيم وجوههم، وهذا واضح في هنود الإنديز بل في هنود أمريكا الوسطى والبحر الكاريبي.

مما عزز القول الشائع بأنهم كانوا من الآسيويين الذين قدموا لأمريكا الشمالية أول الأمر عن طريق مضيق (بهرنج)، ثم انزاحوا على مر السنين إن لم نقل على مر القرون جنوباً، إما طلباً للدفء أو فراراً من مهاجرين جدد قدموا من الطريق نفسه وهم أصلب عوداً وأحوج إلى القتال منهم من أجل أن يركزوا وجودهم في البلاد .

واستمر هؤلاء الذين يؤلفون السكان الأصلاء في أمريكا الوسطى والجنوبية في الزحف جنوباً حتى وصلوا إلى هذه الأماكن التي كانوا يحلونها عندما وصلهم المستكشفون الأوربيون صحبة كريستوفر كولومبس.

وعندما أبديت للإخوة المرافقين عجبي من ازدحام الشوارع بالسيارات ذكروا أن هذا بسبب خروج الموظفين وعمال الشركات للغداء لأن العمل عندهم يبدأ من الثامنة حتى الثانية عشرة ثم تحل عطلة الغداء من الثانية عشرة حتى الثانية حيث يستأنف العمل من الثانية حتى الخامسة، فقلت لهم مداعباً: إنها الآن ساعة القيلولة الصيفية. فقالوا: نحن ليس عندنا شتاء ولا صيف، وإنما الدهر كله فصل واحد ماعدا موسم الأمطار حيث يتميز ببرودة نسبية في الهواء، وعندهم موسمان للمطر مع أن المطر يسقط حتى في

غير أوقات الموسم .

بلاد الثورات:

ظل الناس في سائر أنحاء العالم يستمعون عن قصد أو غير قصد إلى أنباء القتل والاحتراب في السلفادور مدة عشر سنين حتى ثبتت في أذهانهم صورة السلفادور بأنها بلاد القتل والحرب. أو أنها البلاد المضطربة التي لا يسلم من مر بها أو عرج عليها فضلاً عمن يقومون فيها.

لأنها كانت شهدت ثورة يسارية أمدتها الشيوعية العالمية والأنظمة الاشتراكية في العالم، ومن أقربها إليها جزيرة كوبا في الكاريبي، وهي ثورة موجهة إلى رجال المال والأثرياء الذين أيدتهم الولايات المتحدة الأمريكية ضد هؤلاء الثوار اليساريين، وأمدتهم بما يقاومون به تلك الثورة.

إلا أن ذلك قد أصبح الآن في ذمة التاريخ، حيث تم الصلح بين الطرفين واتفقا على وضع حد للثورة، وساعد على ذلك سقوط الشيوعية في مهدها وانحسار المد الاشتراكي، ولكن بعد أن حصدت هذه الثورة مئات الألوف من القتلى من الطرفين المناصر لها والمعادي.

وقد أعلنت حكومة السلفادور أنها أحصت عدد القتلى في الثورة فبلغ مائة ألف قتيل، إلا أن العارفين بالأمور من أهل السلفادور ومن أهل منطقة أمريكا الوسطى يقولون: إن العدد أكثر من ذلك، وأنه يبلغ بدون شك عندهم إلى نصف مليون قتيل.

وقد عاد الأمن والأمان إلى سالف عهده في السلفادور كلها فلا يخاف المرء فيها الآن من أحد إلا كما يخاف الساكن في بلاد آمنة مطمئنة من لصوص أو نحوهم.

وقد انتهت الثورة قبل سنتين، بعد أن استمرت اثنتي عشر سنة .

ويجدر بنا قبل أن ننهي الكلام على هذه الثورة أن نذكر أن زعيمها من أصل عربي ولكنه مولود في هذه البلاد السلفادورية، واسمه شفيق حنظل وقد أصبح الآن زعيم المعارضة للحكومة الحاضرة، وهو مسيحي فلسطيني من أولاد الأغنياء، لكن تفكيره اشتراكي كما يقولون، ومن الغريب الذي نوهوا به هو أن أسرته غنية وأنه قوي الصلة بها رغم كونه زعيم الثوار اليساريين.

وكان يعرف باسمه الحركي (ماندو ماركس).

حي سان فرانسيسكو:

وسان معناها قديس - كما تقدم -، وهذا الحي من الأحياء الراقية في العاصمة، ويتميز بأرصفة واسعة جداً كلها مكسوة بالخضرة المهذبة، وكل بيت من البيوت في هذا الحي أمامه حديقة وارفة الأشجار، وفي الشوارع أيضاً أشجار من أشجار الظل المعتنى بها.

سبب الزحام:

لم نقف في هذا الحي الراقي إلا ريثما التقطنا صورة تذكارية فيه وواصلنا الجولة في أنحاء العاصمة (سان سلفادور)، فتحدث القوم عن سبب زحام السيارات في شوارع المدينة، فذكروا أن ذلك لكون هجرة المواطنين من هذه البلاد للعمل في الولايات المتحدة الأمريكية متيسرة وفق سياسة كانت الولايات المتحدة قد انتهجتها، ولذلك يوجد أكثر من نصف مليون سلفادوري من العاملين هناك. قالوا: فيرسل هؤلاء نقوداً يشتري بها ذووهم ومن يعود منهم للبلاد سيارات، أو قد يحضرون سياراتهم معهم.

وإلا فان الرواتب أو لنقل الدخول التي يحصل عليها الناس هنا لا

تكفي تكاليف الحياة وشراء سيارة، وهذا بالنسبة إلى أكثرية الناس.

فالرواتب ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف كولون في المتوسط، ويساوي ذلك حوالي ٤٥٠ دولاراً أمريكياً، ولكن أجرة المساكن غالية جداً بالنسبة إلى هذه الدخول، فهي تأخذ من الموظف المتوسط نصف دخله الشهري تقريباً إذْ يبلغ إيجار البيت المتوسط في مستواه ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف كولون.

ومررنا ببوابة اصطناعية معتنى بها في ميدان غير واسع فيه نافورة، وقد كتبوا على اللافتة جملة ترجموها لنا بأن معناها مرحبا بالأخ البعيد، والمراد بذلك المواطنون الذين كانوا قد هاجروا من البلاد إلى الولايات المتحدة أو غيرها من الأقطار الغنية بسبب الاضطرابات وسوء حالة الأمن في السابق، وقد نحتوا هنا تمثالاً غير فاخر للمغترب السلفادوري، وهذه البوابة أو القوس والتمثال للترحيب بالعائدين منهم للوطن.

نصب السلام:

للسلام معنى خاص لمن فقده مثلما أن الصحة لها معنى خاص عند من افتقدها كما قيل في الأمثال القديمة: «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى»، وقد افتقدت هذه البلاد السلام والأمن لمدة طويلة، وعندما ذاقت طعمه سعت لإظهار سرورها به عن طريق إقامة نصب كبير له خارج العاصمة.

فقد خرجنا من المدينة إلى الريف الأخضر البالغ الخضرة، وقد رأيت خيلاً ترعى في حاشية الطريق الذي يشبه الأرض المزروعة فأعجبني منظرها فالتقطت لها صورة، إلا أن حماراً أزرق اقترب منها ولم يعجبني منظره لأن أجود الحمير عندنا في بلادنا كانت البيض الشهربة.

ثم وصلنا إلى النصب الذي أقيم حديثاً وسط طريق مهم ويسمونه (نصب السلام) أو رمز السلام، وقد كتبوا عليه بالإسبانية ما يصح أن يترجم بلفظ: السلام عليكم، أو سلام لكم. فهو: (لاباز سييباكن قوسو ترس).

والنصب جديد لم يمضِ عليه إلا شهر واحد، وقد رفعوا عليه تمثالاً لعيسى عليه السلام في يده اليمنى إشارة النصر، وفي اليسرى حمامة قد مدت جناحيها.

وقفنا ملياً عند نصب السلام هذا، واستمتعنا بمنظر المنطقة الجميلة حوله، وقد جعلوا الطريق تغلقه تلة خضراء بالغة الجمال، بمعنى أن التلة اعترضت الطريق فبدت كأنما هي تغلقه، وقد انحرف عنها عندما وصلها.

الصعود للجبال الخضر:

لا تستغرب الخضرة هنا ولا تلفت أنظار الناس لأنهم ألفوها، وإنما تعجبنا منها وأعجبنا بها نحن القادمين من الصحراء الجرداء مع أنني سبق أن رأيت جميع مناطق العالم تقريباً، وفيها ما هو أخضر وما هو أغبر، ولكن خضرة سلفادور هذه شاملة. وإذا كانت الخضرة في التلال العالية والجبال المتطامنة كان لها منظر أنيق، لأنها تجعلها تبدو كأنما هي قطع خضراء شاهقة إذْ لا تبين الحجارة ولا التراب فيها، وليس فيها فراغ يشعر من يراها بأنها نامية فوق أراضٍ عالية.

وواصلنا الصعود في هذه التلال مع خط إسفلتي لا بأس به لولا ضيق فيه ونحن نقصد مطعماً على تلة جبلية في هذه التلال المتجاورة.

وما شبهت هذه المنطقة في جمالها إلا بالمنطقة في الطريق إلى أجمل مدينة في البرازيل الجميلة وهي مدينة (قراماندو)، وقد وصفت أمرها في

كتاب « جنوب البرازيل ».

المطعم القرطبي:

وصلنا المطعم وقد كتبوا اسمه عليه: (الكُرْدوبيز) بمعنى القرطبي - بصيغة النسبة إلى (قرطبة) التي هي المدينة الأندلسية المشهورة - وهو جدير بهذه التسمية لجمال موقعه وحسن طعامه، لولا أن الجو فيه رغم ارتفاعه وخضرته حار رطب، وليس كجو قرطبة الأندلسية البارد، إلا إذا هبت نسائم الهواء فيه فإنه يكون بارداً خالياً من الجفاف فضلاً عن كونه لا سموم فيه.

ويقع المطعم في منطقة تسمى (لوس بلانيس دير رنديرس) في موقع جميل يشرف على مناطق منخفضة غارقة في الخضرة، وعلى تلال خضر بعيدة من أي جهة اتجه الناظر بنظره إليها.

صورة في المطعم القرطبي مع الأخ عبد الهادي

وهذا المطعم يخرج الناس للتنزه فيه وأكل الطعام، وقد اختار الإخوة من طعامهم ما لذ وطاب، وتميز بكونه محلي الطابع، غريباً في مذاقه علينا وأمثالنا الغرباء.

فكان من ذلك أربيان وهو الروبيان بالعامية، أو الجمبري باللهجة المصرية، ودجاج مطبوخ بطريقة خاصة، وسجق حلال وشواء لحم بقري، وأما السلطة فإن نجمها اللامع هو الليمون الصغير الذي لم نكن نعرف ليموناً غيره في القديم، وهو المسمى (البنزهير) ويكثر إنتاجه في بلادهم ويباع بأسعار رخيصة.

وأما الشراب فإنه من فاكهة عندهم لا نعرفها، وهو شراب طازج.

كانت الجلسة في المطعم ممتعة بطعامه وموقعه وراحة طويلة فيه.

باب الشيطان:

وكدت أجعل العنوان (إلى باب الشيطان) لولا أنني كرهت أن يفهم أننا نريد الذهاب إلى باب الشيطان الحقيقي أو المعنوي، مع أن الواقع أننا ذاهبون إلى مكان جميل المنظر غريب الشكل يسمونه (باب الشيطان).

ومع ذلك كان الطريق إليه لا يوحي بذلك الشيء المكروه بل هو جميل غاية الجمال، فقد انتقلنا من مكان الغداء إلى منحدر في هذه الجبال الخضر التي يطالع المرء منها التلال الخضر الرائعة، وبطن وادٍ واسع أخضر أسفل من ذلك في تدرج بديع.

فمررنا بمنتزه باليوا ويسمونه (باركي باليوا) وهو في عرض الجبل، وسرنا صاعدين في جبل أخضر حتى وصلنا (باب الشيطان).

و(باب الشيطان) فرجة بين جبلين واقفين أشبه ما تكون بالباب المفتوح الذي ليس له سقف، وتطل على هاوية جبلية واقفة كان أصل تسميتها أن صخرة عظيمة كانت مكان هذا الباب المفتوح انقضت من هذا الارتفاع الشاهق على قرية كانت أسفل الجبل فقتلت عديداً من أهلها حتى تركوا مكانها وهجروها، ولم يعرف المرافقون متى كان ذلك،

ولكنهم يقولون إنه كان منذ مئات السنين.

والذي يطل على الهاوية السحيقة التي سقطت فيها الصخرة الضخمة يدرك أي تدمير أحدثته.

جلسة في (باب الشيطان) مع الإخوة المرافقين

هذا إذا كان ما ذكروه عن سبب التسمية صحيحاً، وهو الذي يعرفونه، وقال بعض الذين كانوا واقفين عندها لأنها أشبه بالمنتزه الذي يزوره الناس لغرابة المناظر حوله وجماله إنها سميت (باب الشيطان) لكون الذين يريدون أن ينتحروا يقصدونها فيلقون أنفسهم منها، فلا يمكن إنقاذهم.

ومع جمال هذه المناظر ووجود سيارات عديدة للمتفرجين فيها وما تستثيره تسمية (باب الشيطان) في النفس من مشاعر تدفع إلى رؤية المكان فإنني لم أرهم اعتنوا العناية المناسبة بالمكان، فقد رأيت بائع المشروبات الباردة مثلاً قد نصب له خرقة أشبه بالخيمة وهو يبيع بضاعته، مما جعلنا نقول: إنه لو كان ذلك عندنا لكان مليئاً بالمتفرجين، صاخباً بالسيارات.

والتقطنا صوراً تذكارية في هذا المكان ذي الاسم الشنيع، وذكرت بهذه المناسبة اسماً شنيعاً آخر لمكان جميل آخر هو (بلعوم الشيطان) بمعنى

حلق الشيطان، وهو مساقط الشلالات الضخمة لنهر قواسو الموجودة على الحدود بين البرازيل والأرجنتين في أمريكا الجنوبية التي سميت ببلعوم الشيطان، لأن من قرب منها تجذبه مياه النهر فتلقيه مع هذه الشلالات التي تعصره عصراً، بل تهرسه هرساً بثقلها قبل أن يصل إلى الأرض العميقة الخطرة، وقد ذكرت مشاهداتي فيها في كتاب: على « أرض القهوة البرازيلية » المطبوع.

ثم انتقلنا من المكان إلى مكان آخر غير بعيد وفيه موقف فوق هوة سحيقة، ولكنه موقف مكشوف ليس فيه باب مثل الذي قبله، وتفرجنا برؤية المناطق المنخفضة الخضراء.

بائع المشروبات الباردة عند (باب الشيطان)

ومن المناظر الطريفة منظر بيت الحارس الذي يلاحظ المكان لئلا يأتي إليه جهال فيقعون فيه، وهو واقع في مغارة من الجبل ذات صخور صلداء، وتظلل بابه شجرة من شجور الأزهار، وهي التي تبدو أوراقها ملونة كأنها الزهور. وبجانبه بائع يبيع لحوماً مشوية قد انعقد دخانها فوقها لكثافة الرطوبة وعبق الجو برائحتها ومعها أطعمة خفيفة .

ولاحظت أن الطابع الهندي وهو المنسوب للهنود الذين يراد بهم هنا سكان البلاد الأصلاء الذين كانوا موجودين فيها قبل وصول الأوربيين هو ظاهر، فقال لي الأخ (عبدَ الهادي بازوتو) مرافقنا وهو نفسه هندي أمريكي: إن هؤلاء هم من (المايا) الذين هم قبائل معروفة في هذه البلاد الأمريكية الوسطى، وقد خلف أوائلهم حضارة راقية بمعزل عن التأثر والتأثير بحضارات العالم القديم لا تزال أثار تلك الحضارة باقية في المنطقة، وبخاصة في المكسيك.

وتوجد بقاياهم الآن في عدة بلدان من أهمها المكسيك وقواتيمالا والسلفادور .

الناظر:

وقفنا بعد أن سرنا قليلاً على مكان عالٍ يشرف على أماكن بعيدة غاية في الجمال يسمونه (ميرادور)، ومعناها: (الناظر)، لأن (ميرا) بالإسبانية تعني انظر أو ينظر، و(دور) تلحق بالكلمة لتتخذ صيغة اسم الفاعل، ويراد بالناظر هنا: المشرف على أماكن بعيدة جديرة بالنظر. وقال لي الإخوة المرافقون: إن من ينظر من هنا ويشاهد هذه المساحات الواسعة كأنما ينظر إلى (السلفادور) كلها، وهذا حق كله أو بعضه، لأننا نظرنا منه إلى مساحات خضر عجيبة تجمع بينها الخضرة والمنظر الجميل، وإن فرقت بينها طبيعتها فهي تتراوح بين جبال خضر تجللها أشجار الغابات ، وربى جميلة متطامنة ووديان سحيقة تجري في بعضها مياه، ونهر يتلوى قاصداً المحيط الهادئ الذي لا يبعد عن العاصمة (سان سلفادور) إلا بـ٣٢ كيلو متراً.

وحتى البحيرة الجميلة التي رأيناها من الطائرة ووصفتها هناك بدت ظاهرة وإن تكن بعيدة، وقد صورتها مع بعدها

ولا أدري أتكون ظاهرة في الصورة أم لا.

المؤلف في ميرا دور مع الأخ عبد الهادي

وما شبهت هذه المناظر إلا بالجنة من جنات الدنيا، ومن المعلوم أن (الجنة) في اللغة تعني الحديقة، فهي على هذا التفسير مجموعة جنان متصلة. ولا يقتصر ذلك منها على خضرة الأعشاب والأشجار، وإنما يتعداه إلى تنوع المناظر وتعددها من جبال ووديان وسهول ضيقة.

ومع ذلك فإننا عندما انحدرنا قليلاً من هذا المكان المرتفع رأينا نساءً من نساء الهنود الأمريكيين يسرن في الطريق حاملات أمتعتهن على رؤوسهن في مظهر غير مريح، بل إنه منظر يدل على الشقاء رغم البقاء في هذه الجنة الأرضية.

في مناطق الهنود:

والمراد بهم الهنود الأمريكيون - كما سبق - وهم سكان القرى في هذه المناطق الريفية بصفة رئيسية، أما المختلطون الذين يسمونهم (مستيسوس) وهم المختلطون ما بين الأوروبيين الجنوبيين وبين الهنود فإنهم يوجدون في الغالب في المدن والقرى القريبة من العاصمة، وحتى العواصم الريفية.

والهدف من سيرنا هو زيارة القرية التي يقع فيها بيت مرافقنا الأخ المسلم (تيتو عبد الهادي)، إضافة الاطلاع على الريف البعيد نسبياً عن العاصمة الذي يمثل طبيعة الأرض السلفادورية.

انحدرنا مع طريق إزفلتي غير جيد وسط جو بديع في مكانه وهوائه، وهو طريق جبلي بين جبال تمتد من قرب العاصمة حتى المحيط الهادئ الواقع عنها جهة الغرب .

واستمر انحدارنا مع الطريق فترة حتى قاربنا الوصول إلى وادٍ منخفض، إلا أننا عدنا من الطريق مرتفعين إلى أحد الجبال، فمررنا بقرية هندية واقعة داخل الغابة تماماً بحيث لا تشعر بها إلا إذا وصلتها.

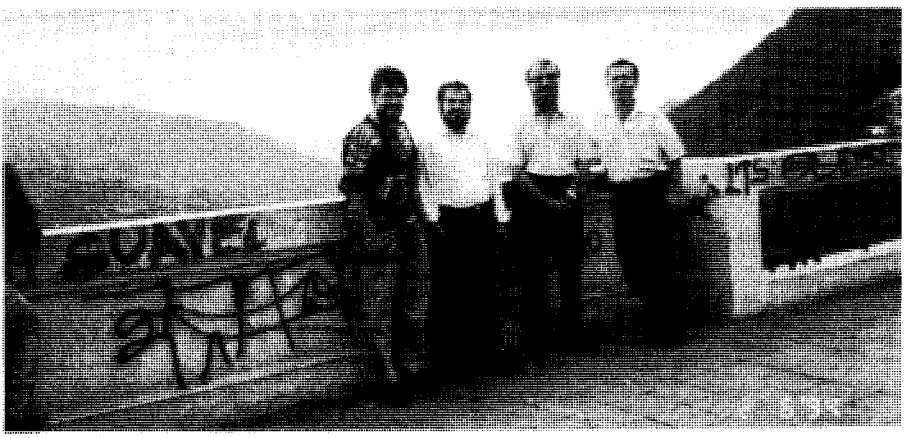

مع الرفقة في إحدى المناطق المرتفعة من السلفادور

وتكاد هذه القرية من موقعها في الغابة وانعزالها تشبه القرى الإفريقية في الغابات الاستوائية، لولا فوارق قليلة منها أن السكان الهنود هنا هم في لون العرب الجنوبيين، أي أنهم سمر سمرة شديدة، إلا أن تقاسيم وجوههم لا تشبه التقاسيم العربية، وإنما تشبه التقاسيم المغولية أو تقرب منها، من ارتفاع الوجنتين وضيق العينين، وغلبة القصر على القوام وشيء ظاهر عند بعضهم دون بعض وهو طول الرجلين مع قصر فقار

الظهر، إلى الشيء الآخر الذي يكاد يكون القاسم المشترك بين الهنود الأمريكيين في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وهو قصر الرقبة.

وتسمى هذه المنطقة (روساريو دي مورا).

جبل الأمير:

استمر السير في الارتفاع المتدرج ونحن مع طريق معبد غير مزفت، حتى وصلنا ونحن في المنطقة الجبلية إلى تلة عالية خضراء فأوقفنا السيارة وسرنا مع طريق ضيق أصعب ما فيه أنه زلق من كثرة المطر والرطوبة، حتى أن المرء لا يستطيع السير إلا وهو ممسك بجذع إحدى الأشجار اليابسة التي تجلل المنطقة، أو يسير رويداً رويداً وبحذر شديد، وذلك لتكرر نزول المطر والندى عليه.

وصلنا إلى بيت الأخ عبد الهادي فوق هذه التلة العالية التي تحيط بها الجبال ولكنها لا تحاصرها بل تدع بينها وبينها وديانا وربى أخرى متطامنة، والبيت مبني من لبن الإسمنت المزدوج المسقف من الصفيح القوي.

مع عبد الهادي والمسند في شفير الغابة قرب جبل الأمير

وعندما سألته عن كيفية حصولهم على الماء لهذا البيت الذي يقع

فوق هذه الربوة؟ قال: إنه من المطر، لقد وضعنا خزاناً في مكان مرتفع وسحبنا منه أنبوباً إلى خزان فوق سقف البيت، ونحصل من ذلك على ما يكفينا من الماء.

ويسمى الجبل الذي عليه البيت جبل الأمير (سيررو دي برنسبي).

وقفنا ملياً عند البيت نستجلي هذه الأماكن الجميلة في منظر جليل باهر، حيث يطل على وديان وربى تجللها الخضرة، وعلى نهر قليل المياه يجري في أحد الوديان اسمه النهر الميت، أو بالإسبانية(ريو مويرتو) فريو: نهر، ومويرتو: ميت.

ولكن موت النهر إذا كان قد مات بالفعل لم يمنع هذه البلاد من الحياة المزدهرة التي لا تحتاج إلى النهر، ولو احتاجت إليه لم تستطع الاستنادة من مياهه القليلة الواقعة في القاع السحيق.

ذلك بأن السحاب المتدفق بالمياه لا يكل عن إمدادهم بما يحتاجون إليه وما لا يحتاجون إليه منها .

إلى قمة الجبل:

في فسحة بين الأشجار في الغابة في قمة الجبل مع عبد الهادي

انصرفنا من فوق الهضبة أو الربوة الجبلية التي يقع عليها بيت الأخ عبد الهادي قاصدين قمة جبل عالٍ وهو أعلى الجبال القريبة، وذلك لاستجلاء المنظر البديع منها الذي يجمع بين مناظر أخرى رائعة مثل التي ذكرتها، وبين زاوية شاطئ المحيط الهادئ الذي هو شاطئ سلفادور من هذه الجهة، فانحدرنا من التلة ثم صعدنا وسط غابة مطبقة لا يستطيع المرء أن يبصر فيها شيئاً، لأن أشجارها العالية وما تحتها من أشجار أقصر منها قد أغلقت النظر.

وبعد أن التقطنا صوراً من هذا المكان العالي واستجلينا منظر المنطقة منه، عدنا مع طريق آخر إلى بيت الأخ عبد الهادي، ولاحظت أن حجارة الجبال يركبها الطحلب الأخضر من كثرة المطر وتداركه بمعنى تواصل نزوله.

ويبعد رأس الجبل أو قمته عن منزله ١٥ دقيقة بسير السيارة أو ساعتين للماشي على قدميه.

فواكه الغابة:

أخذنا الأخ عبد الهادي في جولة على الأقدام داخل الغابة المحيطة ببيته، فكان من الأشجار المثمرة فيها الموز والجوافا، وقد أثقلت بالثمار بل إن الجوافا قد سقطت بكثرة على الأرض حتى يخيل للمرء ألا أحد يرغب فيها مع أنها تصلح لطعام الماشية إذا لم يردها الناس، إلا أن الماشية تجد من الأعشاب الوفيرة وأوراق الشجر الكثير ما يغنيها عنها، مع أننا لم نر أعداداً تستحق الذكر من الماشية، وربما كان ذلك لكون الغابة تخفيها. وقد ذكر لنا الأخ عبد الهادي أن هذه المناطق ليست من المناطق التي تربى فيها المواشي، وإنما يكون ذلك في الأراضي المنبسطة والقليلة الارتفاع.

وهناك أشجار الكاجو الذي يثمر فاكهة تؤكل حلوة، وبجانبها ثمرة (الكاجو) التي هي نقل كالجوز ويسمونه هنا (ماراينون)، وشجرة فاكهة أخرى اسمها (نانشه) وثمرتها تشبه الكرز إلا أنها صفراء اللون، وقد أكلنا من هذه الفواكه كلها لأنها مثمرة بل مثقلة بالثمار.

وهنالك البرتقال وهو نوعان أحدهما ثمره أصفر (برتقالي)، والآخر ثمره أخضر وأكلنا منهما، وهناك فاكهة أسميتها عندما ذقتها لأول مرة (تمر الاستواء) لأنها من نبات المناطق الاستوائية، وهي حلوة صادقة الحلاوة ويسمونها هنا (شبوتي).

ورأينا هنا أشجار القهوة المثمرة التي بعضها قد تعلقت عناقيدها بأغصانها حتى خفضتها إلى الأرض، وأخبرنا الأخ عبد الهادي أنهم يستفيدون بالبيع من شجرتين هنا هما القهوة والبرتقال، أما بقية الفاكهة فإنها رخيصة ويحتاج جمعها إلى عناية.

ولا شك في أن هذه البلاد لو وجدت خبراء يعرفون كيف يستغلونها لأنتجت إنتاجاً ضخماً صالحاً للتصدير.

في داخل الغابة مع عبد الهادي وحسين عبد اللطيف

وقد سألتهم عن حيوان الغابة المتوحش أيوجد منه شيء هنا ؟

فأجابوا ، نعم ، إن الكلب المتوحش موجود والنمر موجود على قلة إذْ يقتله الأهالي لأنه يأكل الحيوان الثمين.

أما الصيد فإنه وفير من الأرانب والغزلان .

ومررنا في الغابة بثمار من ثمار العمبة (المانقو) ساقط من شجره ولا أحد يجمعه لكثرته ، وهو ينمو وحشياً في الغابة دون سقي.

وعدنا ثانية إلى بيت الأخ عبد الهادي حيث قدم إلينا أولاده وكلهم يحمل أسماء عربية ، كما قدم لنا أخاً كبيراً له ، وقد التقطنا هذه الصورة له ولأخيه الذي يبدو مثل بعض الأسرة في لون العرب وإن كانوا يختلفون عنهم في تقاسيم الوجه والبدن.

ومما يجدر ذكره أن الأخ عبد الهادي يسكن هنا وحده مع أسرته وليس لهم جيران فوق ظهر هذه التلة أو لنقل الهضبة الجبلية وسط الغابة المغلقة ، وذكر أنه لا يخشى من اعتداء اللصوص أو نحوهم ، ومع ذلك لديه كلب حراسة قوي ، ولديهم من حيوان اللحم خروفان فقط ، ومن الطير دجاج وحمام وديوك رومية.

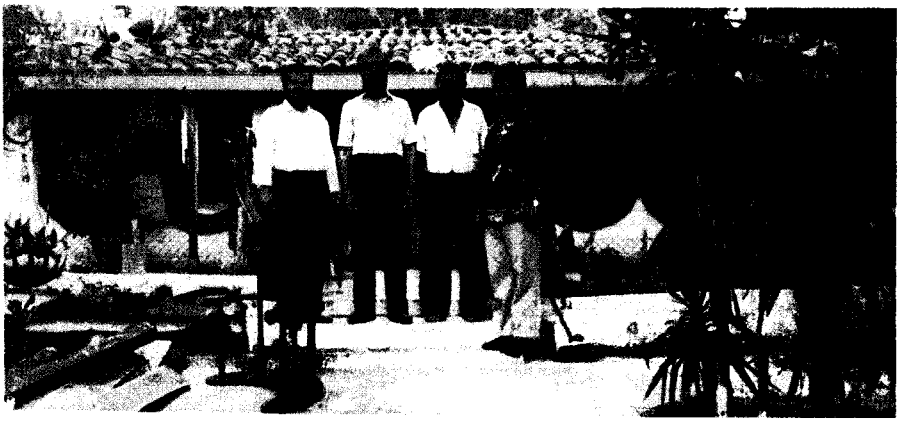

الأخ عبد الهادي وأخوه على يسار المؤلف أمام بيتهم في أعلى التلال الجبلية. وفي أيسر الصورة الشيخ عبد العزيز المسند

العودة إلى سان سلفادور:

في الخامسة عصراً تركنا منزل الأخ المسلم (عبد الهادي) وأسرته التي تقيم وحدها دون جيران إلا هذه الأشجار المنتصبة عالياً، ولا أدري أهي مصدر للارتياح والشعور بالأمن هنا أم هي مصدر للخوف والانزعاج.

وقابلنا ونحن نسير في الغابة بنتاً شابة أقدر أن عمرها في حدود السابعة عشرة وهي هندية أمريكية بلا شك، ظاهر ذلك من شكلها وتقاسيم وجهها، وقال الأخ عبد الهادي بعد ذلك: إنها هندية من (المايا)، وهذه البنت تسير وحدها على الطريق الخالي الذي يشق الغابة الكثيفة، فسألت الأخ عبد الهادي عما إذا كانت مثل هذه الفتاة تستطيع أن تسير وحدها من دون أن يعتدي عليها أحد، فقال: إنها تسير وهي آمنة، لأن التقاليد القبلية في هذه المنطقة الهندية تمنع من الاعتداء على مثلها، وليس ذلك خوفاً من الحكومة أو أن الحكومة تستطيع أن تمنعه.

ويبعد هذا المكان ٣٥ كيلو متراً من العاصمة، ولكنه في منطقة غابات وعرة كما قدمت، وقد عرفت من طبيعة الأرض سر استمرار الثورة اليسارية ضد الحكومة طيلة اثنتي عشرة سنة، وأن ذلك يرجع بالدرجة إلى طبيعة هذه البلاد التي تكثر فيها الوديان المنخفضة والربى العالية والواطئة، وتجللها كلها الغابات الكثيفة.

وذكروا أن هذه الخضرة هي دائمة طول الدهر، بمعنى أنها لا تقل أو تذوي في وقت من الأوقات. وسألته عن حالة المرور مع هذه الطرق للأهالي إبان الاضطرابات في زمن الثورة ؟

فأجاب: بأنهم لم يكونوا يعانون أية مشكلة في المرور مع المناطق التي تسيطر عليها قوات الحكومة أو التي تسيطر عليها أو توجد فيها قوات الثوار، لأن الطرفين يحترمان الأهالي ويظهران التودد لهم.

ولم نقف في الطريق إلى العاصمة لأننا نريد أن نؤدي صلاة المغرب في مسجد المركز الإسلامي، وقد حسن الطريق عندما قربنا من العاصمة، ولم يكن سيئاً قبل ذلك إلا في بعض المواقع، وإلا ما كان من أمر ضيقه.

وقد أصبح الطريق ينحدر انحداراً إلى العاصمة لكونها في منطقة منخفضة تحيط بها الجبال الخضر.

ومن الجبال التي نشاهدها الآن جبل في رأسه بركان مهم اسمه (ال بوكي ايروت) ومعناها النوهة الكبيرة، وهي عالية بحيث إنني شاهدت السحاب يقف دون قمته.

وقد ثار في عام ١٩٣٠م وهو الآن ساكن، ولكنهم يخشون أن يعاود الثوران مرة ثانية.

في المركز الإسلامي ثانية:

دخلنا المدينة فمررنا بمحل تجاري عليه كتابة بالإسبانية تقول: (هذا محل عمر لتغيير آلات السيارات) وهو محل لرجل عربي مسيحي اسمه عمر، لأن التسمي بعمر موجود عند المسيحيين هنا، وذكر المرافقون أن من الأسماء العربية التي يستعملها المسيحيون هنا: عمر، وفاطمة، وعلي، وجاسمين (ياسمين).

واخترقنا في الطريق حياً شعبياً غير جيد المظهر، ومررنا بحديقة اسمها(هيراريو باركو)، و(هيراريو) هو أحد الأبطال الوطنيين الذين ناضلوا ضد الاستعمار الإسباني .كما مررنا بالمسرح الوطني دون أن نقف عنده.

والحدائق هنا كثيرة، وهي لا تكلفهم عناء غير العناية بالأشجار والأعشاب بالتهذيب والتشذيب، وإلا فإن ريها تتكفل به السماء.

يصلي قبل أن يسلم:

صلينا المغرب في مسجد المركز الإسلامي وصلى معنا شخص قدموه لنا بان اسمه (أرتوزوكورتيس كارابانتس)، وقد صافحته وشددت على يده وطلبت منهم أن يترجموا له ما أريد أن أقوله، فقال الإخوة: إن هذا الرجل لم يسلم بعد !.

فقلت لهم: إنه صلى معنا وكنت أؤمهم في الصلاة، ولا أدري ما إذا كان أحسن القيام والقعود والركوع والسجود فيها، فقالوا: هذه عادتنا معهم أن نسمح لمن جاء منهم يريد أن يعرف شيئاً عن الإسلام بأن نطلعه على ذلك، وأن يرانا كيف نصلي، وأن نجيب على أي استفسار يريده عن الإسلام عامة وعن الصلاة خاصة، بل إننا ندعوه إلى الصلاة معنا، ونحن نعرف أنه لا تقبل صلاته قبل إسلامه، ولكننا نريد بذلك أن نقربه من الإسلام عسى أن يقتنع به فيسلم، لأن هذه البلاد هي بلاد حرية دينية مطلقة، وإذا لم نأخذ الناس بهذه الطريقة من التسامح واللين لم يقبلوا علينا.

وذكروا أن هذا الرجل يتعلم الآن عندهم في الفصل الدراسي الذي افتتحوه في المسجد لتعليم اللغة العربية للسلفادوريين الذين يقصدون منه تقريب القوم للإسلام، فسألته عن الغرض الذي من أجله يتعلم اللغة العربية هنا؟ فأجاب: إنه يتعلمها من أجل المعرفة الثقافية، وليس من أجل العمل المادي، وذكر أن بعض الناس يأتون لتعلم اللغة لغرض تجاري، مثل أن يؤسسوا تجارة مع الأقطار العربية أو أن يستطيعوا العمل فيها في المستقبل.

وعلق الإخوة على ذلك بقولهم : إنه يوجد أناس كثير مثله يأتون لتعلم العربية لغرض ثقافي، ونحن نحاول أن ندخل في عملنا معهم وسائل إيضاح الدين الإسلامي لعلهم يسلمون.

وكان الأخ حسين عبد اللطيف هو الذي أذن لصلاة المغرب أذاناً شجياً يدخل الآذان من دون استئذان، وأما العصر فإن الذي أدى الأذان له هو الأخ المسلم الهندي السلفادوري (عبد الهادي).

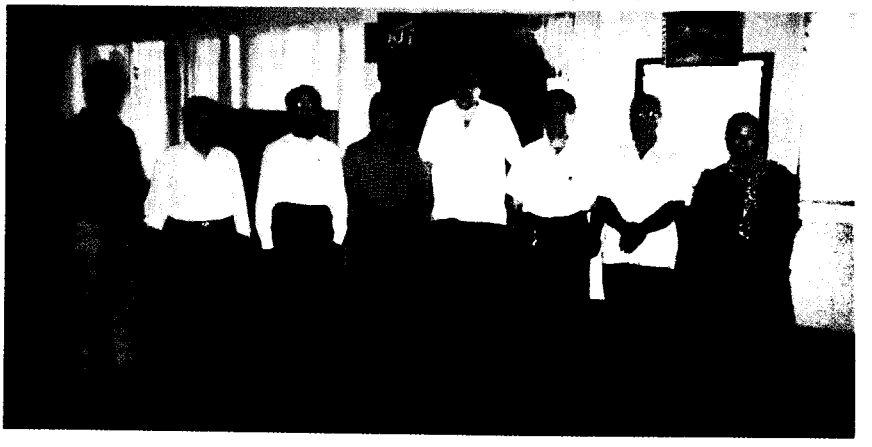

تذكارية في داخل مسجد المركز الإسلامي في سان سلفادور.

والدكتور بقيلة (أطول الموجودين) في محراب المسجد

ولاحظت أنهم قد كتبوا على المحراب جملة (الله أكبر) بالعربية، وقالوا: إننا اخترنا ذلك على عادة كتابة لفظ الجلالة (الله) واسم النبي (محمد) على المحراب كما يفعل بعض الناس، لأن الاسم المجرد وحده لا يؤلف جملة مفيدة.

يوم الخميس ١٤١٤/١٢/٢٣هـ ٢/ ١٩٩٤/٦م

استئناف الجولة:

تقدم الحديث عن أماكن في العاصمة عند الكلام على الجولة في الدولة، وستكون جولتنا هذا اليوم في أماكن من العاصمة إضافة إلى أماكن أخرى خارجها لم نزرها أمس.

بدأت الجولة في التاسعة من هذا الصباح حيث حملنا أمتعتنا بسيارة المسلم السلفادوري (عبد الهادي) بعد أن دفعنا للفندق الذي نسكن فيه أجرة رخيصة شاكرين لأهله حسن معاملتهم.

ومررنا بالمركز الإسلامي حيث أودعناه أمتعتنا وبدأنا الجولة باختراق القلب التجاري الذي يقع فيه المركز الإسلامي والفندق، واسترعى انتباهي منظر لافتة لمحل تجاري مهم حيث حملت اسماً عربياً، فذكروا أن الأسماء العربية كثيرة بين التجار في هذا الحي، ومنها على سبيل المثال حملت أسماء (شاهين) وبخيت وناصر وسمعان ودعبوب وصاف.

ورأيت بناء كبيراً من عدة طوابق في القلب التجاري أسفله محلات تجارية، فنوه الأخ عبد الهادي بأنه ملك لأحد أبناء العرب.

ولم نتلبث في المركز إلا من أجل أكل ثمار من ثمار العمبة الجيدة وهو (المانقو) أحضرها الأخ حسين عبد اللطيف من شجرة في بيته وهي جيدة.

ثم خرجنا من المركز فمررنا بالقصر الجمهوري القديم الذي أصبح الآن متحفاً، ولم يمكنا وقتنا من رؤية ما يحتويه فتركناه حيث مررنا بحي اسمه (سان ها تنتو) ذكروا أنه حي فقير، معظم البيوت فيه من طابق واحد وهي ذات سقوف من الصفيح، وفي حالات قليلة من الآجر، والتقطنا

فيه صورة أمام بيت فقير.

ثم مررنا بحي آخر نعتوه أيضاً بأنه حي للفقراء، وفيه بيت لأحد الإخوة المسلمين من باكستان، ذكروا أنه يحضر للصلاة في المسجد ويعمل في إحدى الشركات.

وقد وقفنا عند محطة لبيع وقود السيارات في هذا الحي وهي غير نظيفة، وكذلك العمال فيها ليست ملابسهم نظيفة، ومع ذلك أسرعوا يقدمون الخدمة المعتادة للسيارات مثل مسح الزجاج وجسم السيارة.

وذكروا أن النفط يأتي إليهم من الولايات المتحدة الأمريكية، ويباع (الجالون) الواحد من البنزين الجيد بما يعادل دولارين أمريكيين، وجالون البنزين المعتاد بدولار وستين سنتيماً، ويذكر أنه لا يوجد في بلادهم نفط، وإن كان يوجد عند جيرانهم في قواتيمالا مقادير قليلة، ولكن عند جيران جيرانهم في المكسيك وغير بعيد منهم عند أهل فنزويلا.

حي الصفيح:

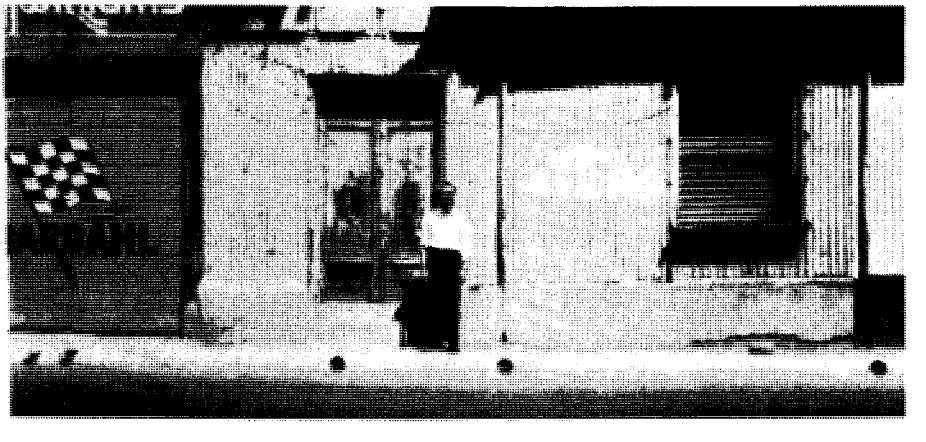

باب بيت هندي في سلفادور

واصلنا البعد عن مركز المدينة وهو قلبها التجاري، فوصلنا إلى

ضاحية تقع على سفح تلة خضراء، قد جعلوا القسم الوعر منها خالياً من المنازل، وهذبوا أعشابه حتى صارت كأنما هي جزء من حديقة معتنى بها، ورأيت بعض البقر سائبة ترعى في هذه الأعشاب الخضر.

وغير بعيد منه حي للفقراء أكثر بيوته من الصفيح ومن الخشب الرديء، وهو صغير إلا أن الدخول إليه غير آمن بسبب فقر أهله الذي يجعلهم - كما يقولون - لا يتورعون عن أخذ الذي مع من يدخله من مال أو غيره حتى وإن أدى ذلك إلى إلحاق الضرر الجسماني به.

ومع ذلك قالوا: إن هؤلاء يعملون ولكن دخولهم متدنية، وأكثرهم ينفقون جزءاً منها على أشياء تضرهم مثل الخمر والدخان.

الصعود إلى الجبال...أيضاً:

وهذه الجبال غير التي صعدناها أمس، فهي في جهة أخرى من البلاد، وليس في هذه الجبال منازل وإنما هي الغابات المغلقة، والطريق فيها جيد واسع، وذلك لكونه يذهب بعد ذلك إلى قرى كبيرة أو مدن صغيرة، وأن كان واحداً للسيارات الذاهبة والآتية يفصل بينهما خط أصفر.

وسألتهم بهذه المناسبة عن الغابات التي تجلل الجبال أهي ملك لأفراد من الناس أم هي مملوكة للدولة؟ فأجابوا : إنها مملوكة. وقالوا: الدولة فقيرة، وإنما يملك الأهالي قطعاً من أراضي الغابات وما عليها من الأشجار ونحوها، إلا الممتلكات العامة وهي قليلة مثل الحدائق والأماكن المحمية.

ومررنا بعمال يصلحون قطعة من الطريق وقد تجردوا من اللباس إلا تيانا وهو السروال القصير، وأما القسم الأعلى من الجسم فإنه ليس عليه شيء، إلا أنهم كلهم يضعون على رؤوسهم قبعات لتقيها من الشمس، ورأيتهم يحفرون جانب الطريق يدوياً بالفؤوس الكبيرة حتى بينوا حائط

الرصيف القصير.

قرية بانتي مالكو:

وصلنا إلى قرية هندية أصيلة اسمها (بانتي مالكو)، وكنت طلبت رؤية قرية من قرى الهنود الأمريكيين الخلص. ولم يعرف مرافقنا الهندي الأخ عبد الهادي معنى تسميتها وإنما عرف أن عدد سكان القرية وما حولها يبلغ ٣٦ ألف نسمة.

وهذه القرية يصح أن تسمى بلدة صغيرة لكونها كبيرة نسبياً ومتحررة من العادات الهندية الأمريكية في اتخاذ المنازل، وهي أن تكون في وسط الغابة.

وأهل القرية من جماعات (المايا) الذين لا يصلح أن يقال فيهم : إنهم من قبيلة (المايا) إلا من باب التجوز، لأن (المايا) ليسوا من قبيلة واحدة معينة، وإنما هم بقايا جماعات من السكان الأصلاء في هذه البلاد الذين كانوا موجودين فيها قبل وصول الأوروبيين إليها في القرن الخامس عشر الميلادي.

ومع ذلك فإن المرء لا يعدم فيها قلة من أهلها الذين هم من المستيسوس أو المختلطين ما بين الأوروبيين والهنود.

الخالدية:

استرعى انتباهنا اسم مركز الإدارة في القرية وهو (أل كالدية) مما جعلنا جميعاً نتساءل عما إذا كان لهذه التسمية علاقة بكلمة الخالدية العربية، حيث أن نطقها لا يكاد يختلف عنها، ولكننا لم نجد من يعطينا القول الفصل في الموضوع.

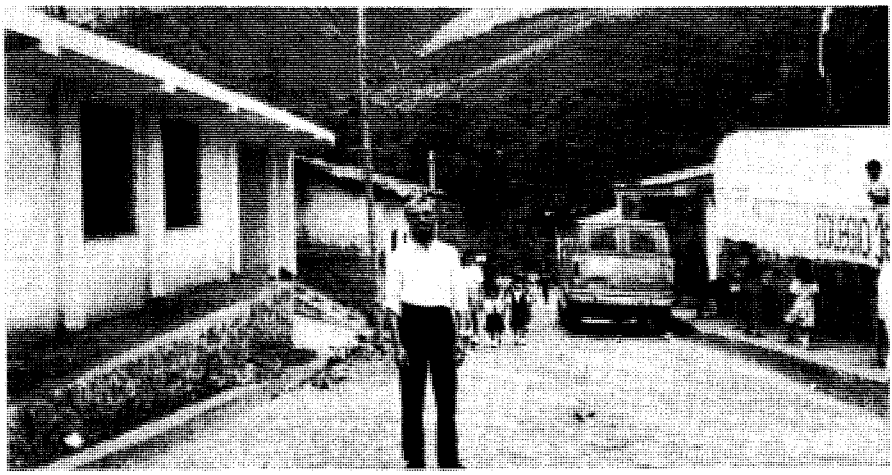

المؤلف في شارع في قرية بانتي مالكو في السلفادور

وهندسة (الخالدية) عربية الطراز تشبه المسجد الصغير لولا عدم وجود مئذنة عالية فيها، مع العلم بأن المآذن في المساجد الأندلسية هي صوامع مربعة وليست مآذن مستديرة، إلا أن فيها برجاً يشبه أن يكون صومعة صغيرة، ولذلك قال الأخ عبد الهادي إنها قد تكون مسجداً في الأصل، ولكنني استبعدت ذلك لعدم وجود إسلامي معروف في القديم، وإنما هي بناء على الطراز العربي الأندلسي.

فرصة تنتهز:

أسرعت أغتنم الفرصة لألتقط صورة لبعض النساء والأطفال من الهنود أهل القرية، وكأنما خشيت أن تفوتني فرصة تصوير هؤلاء الهنود صورة أو صوراً أتحف بها قراء هذا الكتاب، وبخاصة أنني عرفت من الهنود الأمريكيين الخلص على اختلاف مواطنهم التي رأيتهم فيها في أمريكا الوسطى والجنوبية أنهم لا يسمحون بالتقاط الصور لهم إلا إذا أعطيتهم مبلغاً مجزياً من المال، وكأنما نشأ ذلك من معرفتهم بحرص السياح الأجانب على التقاط الصور لهم.

وقد مانعت النسوة بالفعل في التصوير، غير أن الفرصة الكبيرة سنحت لتصوير عشرات منهن ومن غيرهن من أهل البلدة إذْ رأينا فرقة دينية مسيحية حضرت إلى هذه القرية للدعاية لمذهبها المسيحي، وقد جذبوا انتباه الأهالي عن طريق موسيقى لهم يعزفونها، ومفرقعات يطلقونها في الجو مع شموع موقدة يسيرون بها حتى في الشمس، ولباس خاص غريب يتميز به أهلها، ورئيسهم كان عليه لباس الكهان المميز ومعه طائفة من النساء أشبه بالراهبات لهن زي مميز أهم ما فيه ظهوراً (غداف) وهو غطاء أسود للرأس كان نساؤنا في القديم يستعملن مثله في بلادنا، وهي تشبه المناديل السود الكبيرة وبعضها مخطط بأبيض.

الجمهور في قرية بانتي مالكو في السلفادور

وأكثر النساء في الفرقة إن لم يكن كلهن من المسنات، ولا أدري السبب في ذلك.

ورأيتهم يعزفون الموسيقى ويطلقون المفرقعات، ثم يخطبون في الناس إذا ما تجمعوا عليهم، ولا يخطب إلا الكاهن، لأنني لم أرَ رجالاً معه إلا قليلاً خطبة قصيرة ثم يواصلون سيرهم في شوارع البلدة.

وقد جذبت هذه الأشياء أعداداً كبيرة من الناس، وبخاصة من

النساء والأطفال، فكانت هذه فرصة لتصوير هذا الشعب الأمريكي الأصيل الذي هو في الحقيقة بقايا بل أشلاء شعب عريق في هذه البلاد هو شعب المايا الذي مزق المستعمرون الإسبان شمله عن طريق القتل والتغريب، ثم عن طريق الزواج والاختلاط، ولم يسلم منه من ذلك إلا من اعتصم بالجبال أو انزوى في الغابات.

وقد التقطت ما شئت من الصور لهم بدون حساب، ومن غير ممانعة من أحد، فكنت أعتلي مكاناً مرتفعاً نسبياً وألتقط الصورة التي أريدها.

وتابعنا هذا الموكب الدعائي الغريب، ورأيته كلما أوغل في القرية ازداد عدد المنجذبين إليه، وإن كان قل كلام الكاهن بعد ذلك حتى صار لا يتكلم في بعض الأماكن، وإنما يقف وقوفاً.

مع أهالي قرية بانتي مالكو

وقد تذكرت بمناسبة الدعاية هذه فكرة أبداها أحد الإخوة المسلمين في البرازيل على سبيل النكتة والقولة غير الجادة عندما تذاكرنا كيفية العمل على إعادة الأعداد الكبيرة من الأفارقة الذين كان البرتغاليون جلبوهم من القارة الإفريقية إلى البرازيل عبيداً يعملون في المزارع، وبعضهم بلا شك كانوا من أبناء المسلمين، ويتركز وجودهم في

شرق البرازيل، ومنه ولاية بهية التي عاصمتها سلفادور، قال ذلك الأخ المسلم البرازيلي: يمكنني أن آخذ معي شخصاً أو شخصين من الذين يحسنون إيضاح الأمور باللغة البرتغالية (البرازيلية)، فأذهب إلى مقهاة مزدحمة على سبيل المثال، وأوذن فيها بصوت مسموع، وإن لم يكن بالغ الارتفاع، ولاشك في أن ذلك سوف يحمل المجتمعين في المقهاة على التساؤل عن هذا الأمر، وهنا يأتي دور الشخصين اللذين معي حيث يجب أن يشرحا لهم أن هذا الأذان هو النداء للصلاة، والصلاة هي أحد أركان الدين الإسلامي، وسوف يسألون عن الدين الإسلامي، وهنا أشرح مع رفيقيَّ ما هو الدين الإسلامي، ولا شك أن بعضهم سوف يقتنع به فيسلم، أو على الأقل يحمله ذلك على أن يواصل البحث عن المعرفة بالإسلام فيسلم.

على أن هناك سبلاً متعددة وطرقاً كثيرة للدعوة إلى الإسلام غير هذه، ولكنها كلها تحتاج إلى دعاة مخلصين عارفين بطريقة تفكير القوم ولغاتهم، وبالطريقة التي يقنعون بها أكثر من غيرها.

بناء الأندلسيين:

تركنا موكب الداعين إلى دينهم، وتجولنا في قرية (بانتي مالكو) الهندية، فاسترعى انتباهي منظر عدد من صبيانهم الذين يشبهون صبيان الأعراب عندنا في اللون، فعجبت من ذلك والتقطت صورة لأحدهم، وتبين أن هؤلاء الصبيان هم من المختلطين وليسوا من الهنود الخلص.

وصلنا في التجول إلى مبنى غير بعيد من مبنى الإدارة الذي أسميته الخالدية، فإذا به مدرسة كبيرة في طرازه ملامح من الطراز الأندلسي، بادر الأخ عبد الهادي فقال: إن الأهالي هنا يعتقدون أن الذين بنوه هم الموريسكيون الذين جلبهم الإسبان معهم ليستعينوا بهم على عمارة هذه الأرض التي تملكوها، وإنه الآن يستعمل مدرسة للقرية.

وبجانب هذه المدرسة التي قيل إن المورسكيين وهم المسلمون الأندلسيون الذين بقوا في الأندلس بعد سقوطها كنسبة مشرفة يخيل إلي من مبناها أنها أكبر مما تحتاجه القرية.

وبجانبها (حديقة) كبيرة واقعة على مرتفع يطل على وادٍ واسع عميق تقع عليه القرية من جهة الغرب، مع أن الحديقة كما سبق أن ذكرته بل كررته لا تحتاج منهم إلا أن يحجزها عن أن يتملكها أحد، وأن يعتنوا بها عناية قليلة لوفرة المياه وغزارة الأمطار عندهم.

ومن الجميل في هذه القرية أن المرء يرى شوارعها تغلقها في عين الناظر ربى خضر أينما وجه بصره منها إلا في جهة الغرب حيث تطل على وادٍ فسيح بعده جبال عالية خضر.

وفي نهاية الجولة جلسنا عند حانوت لبيع المشروبات الباردة فشربنا ماء جوز الهند الأخضر، وهو ثمار شجر النارجيل، ورأيت الثمرة عندهم كبيرة كثيرة الماء.

وقلت للإخوة المرافقين ونحن نشرب ماء الجوز: ألا تطمعون مثلي في أن يكون في هذه القرية مسجد في المستقبل؟ قال الأخ عبد الهادي وهو من أهل البلاد الأصلاء: إذا تأملنا بالنتائج التي تحققت في المركز الإسلامي من إسلام عدد لا بأس به من السلفادوريين الأصلاء مع أنه لم يمضِ على افتتاحه إلا سنة وأشهر، فإننا نؤمل أن يوجد من أهل هذه القرية مسلمون يبنون لهم مسجداً.

وقال: أنا قبل إسلامي رجل دين مسيحي، بل كنت مبشراً، وعندما أسلمت غضب عليَّ أهلي وهجروني ثلاث سنين، والآن زال كله ولله الحمد، وقد دعوت والدي إلى الإسلام فحضر معنا صلاة الجمعة في المركز، وإن كان لم يسلم بعد.

منتزه الحرية:

عند العودة إلى مدينة (سان سلفادور) العاصمة مررنا بحديقة الحرية، ويسمونها (فريتاد) وهو ميدان واسع في جانب من المدينة القديمة، وأصبح الآن في وسطها.

والميدان أو الحديقة الآن جزء منها مبلط لا أشجار فيه مليء بالناس ومنهم باعة متجولون صغار ولكن على قلة.

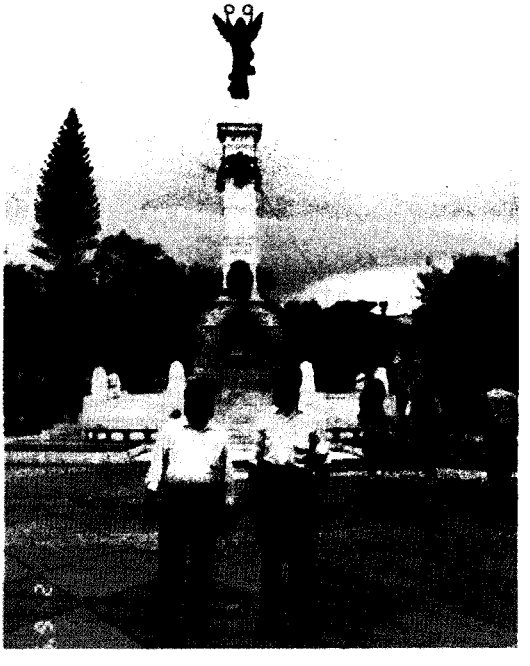

صورة مع الشيخ عبد العزيز المسند في ميدان الحرية (فريتاد) في سان سلفادور

ويتوسطه نصب هو ذكرى استقلال البلاد في ١٠ نوفمبر عام ١٨١١م وكانت قبل ذلك ضمن المستعمرات الإسبانية كما هو معروف.

ولا شك في أن هذا وقت مبكر بالنسبة إلى استقلال الشعوب عن

الاستعمار في القارات الأخرى، ولكن مستعمرات إسبانيا في أمريكا الوسطى والجنوبية واسعة شاسعة، وليس بإمكان الإسبان مقاومة كل السكان عندما أرادوا الاستقلال، فاستقلت أقطارها في وقت مبكر كما هو معروف.

وقد ذهبت لشراء أوراق للكتابة، فلبثت فترة مع الأخ عبد الهادي نبحث حتى وجدنا مكتبة تعبت الموظفة فيها في إنهاء الإجراءات التي ترتبت على شراء هذه الأوراق من (فواتير) ذات صور عديدة إلى إيصالات ورقة كبيرة بالثمن بعد الذهاب إلى الصندوق وتسليم القيمة.

مثل من الضياع:

عدنا إلى المركز الإسلامي في الساعة الثانية عشرة ظهراً فوجدنا فيه أحد أبناء المسلمين من القدماء واسمه (ارستو عبد الله عباس)، وهو من قرى رام الله في فلسطين، ومولود في هذه البلاد السلفادورية حدثنا عن نفسه بأن أمه وأباه مسلمان، إلا أن زوجته وأولاده الثلاثة غير مسلمين.

ويتكلم العربية بصعوبة، وقال إنه حضر إلى المركز بعد أن جدد إسلامه، وقال: عاد إلى الإسلام لأنه وإن لم يكن مسيحياً بالولادة، فإنه لم يكن يعرف عن الإسلام شيئاً، ولم يكن يؤدي شعائره من قبل. قال: ولكنني الآن ولله الحمد بدأت أتعلم الإسلام وأودي الصلوات، واجتنبت ما ينهى عنه الإسلام.

فقلت له: إن هذه النعمة يجب أن تحمد الله عليها، فماذا عن أولادك ولمَ لمْ تدعهم إلى الإسلام مادام أنه وجد مركز إسلامي يمكنهم أن يتعلموا فيه شعائر الدين الإسلامي. فقال: هم كبار الآن، ولا سلطان لي عليهم، ولا يطيعونني في أمري.

فقلت: هل قلت: إنهم مسيحيون ؟ أم أنهم مثلك لا يعرفون شيئاً عن الإسلام ؟ فقال: إنهم مسيحيون بالفعل، ويمارسون الديانة المسيحية، لأن أمهم مسيحية من أهل البلاد، وأنا لا أقوى عليهم. فقلت له: إنك ينبغي أن توضح لهم أن الإسلام تسلسل في أسرتكم منذ أكثر من ألف عام، وأنه لا يجوز لكم أن تقطعوا هذه السلسلة الذهبية الطويلة، وأن عملكم هذا يعتبر عقوقاً لهم وعدم وفاء تجاه تاريخكم الإسلامي الطويل، ويجب أن تبين لهم الإسلام، وأن غير المسلمين من الذين كان آباؤهم مسيحيين قد أسلموا فكيف بهم الذين هم من أصل إسلامي !.

وهذا بلا شك مثل من أمثلة ضياع أولاد المهاجرين الأوائل من العرب موجودة بشكل كثيف في كل مهاجرهم في بلدان العالم الجديد.

ويجب علينا أن نعمل بكل ما نستطيع لحماية أبناء المسلمين الموجودين الآن في المهاجر عن طريق تشجيع وجود المدارس الإسلامية ونشر المساجد وإرسال الدعاة إليهم، وهذا أمر بدأ منذ عشرين سنة في الاتساع ولا يزال ينمو ويتوسع والحمد لله .

ومثل من الفتح:

بينما كنا نتحدث مع هذا العربي الذي عاد إلى إسلامه بعد سنوات طويلة، دخل علينا في المركز أحد السلفادوريين الأصلاء ظاهر ذلك من مظهره الذي هو يشبه مظهر العرب الشماليين، فهو من الذين لهم مظهر الأوروبيين لولا تغير قليل، قدموه لنا بأنه الأخ (كارلوس البرتو نيربو) وأنه مسلم جديد من المسلمين الجدد الذين دخلوا إلى الإسلام بعد أن افتتح المركز، وأطلعوا منه على ما كانوا يريدون الاطلاع عليه من أحوال الدين الإسلامي، وأنه يواظب على المجيء إلى المركز وأداء الصلوات، وبخاصة صلاة الجمعة.

المسلم الجديد والمسلم القديم:

ذكروا لنا وهم يقدمون الأخ كارلوس أنه مسلم قديم الإسلام إذْ مضت سنة كاملة على دخوله في الإسلام، وعجبت من ذلك، لأننا نعتبر من كان إسلامه منذ عدة سنوات مسلماً جديداً بمعنى أنه لم يولد مسلماً ولم يكن أبواه مسلمين، ولكنهم هنا لهم اصطلاح ليس عندنا، لأن إسلام الإخوة المسلمين السلفادوريين بدأ منذ أن فتح المركز الإسلامي تقريباً.

وقد اتضح ذلك عندهم عندما قدموا لنا مسلماً آخر ذكروا أنه مسلم جديد، وليس كالأخ كارلوس الذي هو قديم الإسلام، وهو الأخ (خوسيه ليموس) ذكروا أنه أسلم قبل شهر فقط، وقد أخذ في تعليم ما ينبغي له أن يعرفه عن أمور دينه، وهو تاجر ناجح.

وقد جلسنا مع هذين الأخوين في مكان المطعم في الطابق الأرضي في المركز الإسلامي نتحدث، فدخلت امرأة في متوسط العمر يبدو من هيئتها وحديثها أنها مثقفة، وأنها من أسرة عالية المستوى، فقدموها لنا بأنها السيدة (كوفسييوسن بندقس) وأنها مثقفة مقبلة على الإسلام، ولكنها لم تسلم بعد، وترغب بعد أن تسلم أن تذهب إلى مكة المكرمة، هكذا قالت.

وقد حضرت هذه المرأة بعد ذلك صلاة الظهر عندما صليناها، ولكنها كانت جالسة على كرسي من كراسٍ عدة كانت موضوعة في المسجد تراقب المصلين.

ثم زاد عدد الحاضرين من المسلمين الجدد إلى المركز، وذلك لقرب صلاة الظهر، إذْ إنهم يعملون في قلب المدينة ويحضرون للصلاة.

كما حضر الأخ الباكستاني الذي سبق أن أشرت إلى بيته، وقال:

إنه هو الباكستاني الوحيد في هذه المدينة، وقد حضر لأداء صلاة الظهر.

واسمه (أشرف عبد العزيز)، وقد تحدثنا في الحكمة من مشروعية صلاة الجماعة، وقالوا جميعاً: إنه لولا وجود المسجد في المركز الإسلامي لما اجتمعوا، وإن هذا من الحكمة في صلاة الجماعة.

مع الدكتور أرماندو:

وصل الدكتور أرماندو بو كيلو (بقيله) إلى المركز الإسلامي بناء على موعد سابق، فكان بقامته المديدة ومظهره المهيب مظهر الزعيم الذي ينتظر أن ينصر الله الإسلام على يديه، فيواصل انتشاره في هذه البلاد السلفادورية.

بعد التعارف مع الأخ الدكتور أرماندو شكرت له همته العالية في إنشاء أول مركز إسلامي في السلفادور ودعوته بني قومه من أهل البلاد إلى الإسلام، وبينت له فضل من اهتدى على يديه ولو رجلاً واحداً إلى الإسلام، وأن ذلك خير له من الدنيا وما فيها، لأن الحياة الدنيا مؤقتة، وما فيها فانٍ ولا بد من أن يفارقه المرء، وإنما الباقي للإنسان هو العمل الصالح والذكر الحسن.

وقلت له: إنك يجب أن تحمد الله تعالى وتشكره الذي وفقك لهذا العمل الجليل، وهو دعوة الناس إلى الإسلام الذي فيه الخير والسعادة، لأن من أسلم وحسن إسلامه فإنه يكون قد اكتسب إيماناً يعمر قلبه ويعينه على صعاب هذه الحياة، بل إنه قد يرى الشدائد والمحن منحاً ومكاسب إذا صبر واحتسب.

وقد أبدى الرجل سروره لسماعه هذا الكلام وقال: إنه مصمم على أن يمضي بإذن الله في طريقه في الدعوة إلى الإسلام، وإنه يسأل الله تعالى

ألا يميته حتى يرى في كل مدينة وبلدة في السلفادور مسجداً له مظهر المسجد الخاص، وليس مجرد مركز إسلامي، وذكر أنه يسعى الآن في بناء أول مسجد في السلفادور يكون في العاصمة.

وقال الدكتور أرماندو: أنا متفائل بمستقبل الإسلام في هذه البلاد، والأديان السماوية أصلها واحد، ولذلك نبدأ بدعوة المسيحيين بأن نبين لهم أن رسالة عيسى ومحمد عليهما السلام هي في الأساس رسالة سماوية، ومن هنا ندخل إليهم في الدعوة إلى الإسلام، وقال: لنا طريقة خاصة في الدعوة منها أننا لا نسارع إلى أن نقول لهم إنه يجب عليكم أن تتركوا الخمر قبل أن تسلموا، بل ننصحهم حتى قبل أن يسلموا بأن يقللوا منها ثم يتركوها. وذلك لكيلا ننفرهم عن الدخول في الإسلام.

وكذلك نقول للذي يسلم ولا يحسن الصلاة: إننا مستعدون أن نعلمك الصلاة وباقي فروض الدين بالتدريج، ولا نبدي احتقاراً له واستهجاناً لعدم معرفته بالدين، لأن هذا هو الأساس بالنسبة له ولأمثاله.

وقال: إنني أعرف أن معظم الناس هنا في العاصمة قد تأثروا بالثقافة اللاتينية نتيجة للحكم الإسباني، وبعضهم من أصول لاتينية، ولذلك أقول لهم: إن إسبانيا والبرتغال كانتا من البلدان الإسلامية، وبذلك لا يكون الإسلام غريباً عنهم، إذْ ربما يكون أصلهم من هناك فيكون إسلامهم بمثابة الرجوع إلى الأصل.

وفي ختام الحديث معه قال: إننا لا نطلب في هذه المرحلة أن ترسلوا إلينا دعاة من البلدان العربية، لأن هذه تعتبر بمثابة المرحلة التأسيسية، ونحن نعلم بطريقة تفكير مواطني هذه البلاد أكثر من الذين يأتون من البلدان العربية، وإنما نريد المساعدة على إنشاء جامع سان سلفادور إذا بدأنا بالتحضير لإنشائه، كما نريد إرسال الكتب وترجمات معاني

القرآن الكريم إلى الإسبانية.

العناق بعد الصلاة:

أذن لصلاة الظهر فصعدنا جميعاً إلى المسجد، وكان أكثر الحضور من هؤلاء الإخوة المسلمين الجدد من السلفادوريين، وقدموني للصلاة فيهم، فصليت فيهم صلاة الظهر وأتممت الصلاة مع أنني مسافر يجوز له القصر، ولكنني لم أرد أن أعمل ما قد يشوش عليهم في هذه المرحلة من دخولهم الإسلام.

وبعد انقضاء الصلاة والتسبيح والتحميد المختصر أقبل بعضهم على بعض بالسلام والعناق مثلما يكون بين المصلين بعد الصلاة في بعض البلدان الإسلامية، حيث يصافح بعضهم بعضاً بمثابة التهنئة بأداء الصلاة، أو لمجرد تأكيد المحبة والأخوة.

ثم ألقيت فيهم كلمة مختصرة تضمنت التعريف بالغرض من مجيئنا إلى هذه المنطقة، وبيان مبادئ الإسلام وما يجب أن يكون عليه المسلم، وما ينبغي أن يعمله المسلم الجديد من حرصه على اكتساب المعرفة بأمور دينه، وفهمه ودعوة إخوانه في الوطن من غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام.

وقد ترجم هذه الكلمة إلى الإسبانية الأخ الفلسطيني حسين عبد اللطيف.

إلى النادي العربي السلفادوري:

جرى تعارف وحديث مع هؤلاء الإخوة المسلمين الجدد، ثم ركبنا مع الأخ الدكتور أرماندو سيارته التي يقودها بنفسه ذاهبين إلى (النادي العربي) لتناول طعام الغداء فيه وفق ترتيب مسبق.

فمررنا بحي جيد جداً أسمه (مسكوتا)، ويسكنه الأغنياء وهو يتألف من دارات (فيلات) وقصور تتقدمها الزهور وتحيط بها الجنات، فقلت لهم: إن هذا هو حي (مسكوتا) ونرجو أن يكون فيه (مسكيتا) في المستقبل، فأمنوا لذلك ودعوا الله تعالى أن يحققه، و(مسكيتا) هي مسجد بالإسبانية.

وصلنا النادي العربي فوجدنا عليه لافتة واضحة بالعربية: (النادي العربي السلفادوري) ومثلها بالإسبانية، وهو واسع ضخم ذو بوابة أشبه ببوابات القصور، ويعكس كل ما فيه حالة العرب المالية المزدهرة في هذه البلاد.

وقصدنا مطعم النادي الذي لا يقل فخامة ونظافة عن المطاعم في فنادق الدرجة الأولى، وتحدثنا على الغداء في أمور منها ما يتعلق بهذا النادي الفخم، فأخبرنا الدكتور (أرماندو) وهو عضو فيه أن عدد الأعضاء العرب المشتركين في هذا النادي وأسرهم أربعة آلاف عضو، أما عدد الأعضاء الرجال أي أرباب الأسر دون الأتباع فإنهم (٦٠٠) رجل.

وإن مجموع العرب الذين لا يزالون يحتفظون بالمظهر العربي من تكلم بالعربية أو من غير ذلك يبلغ اثني عشر ألف نسمة، أما عدد العرب مع أولادهم الذين ذابوا وأصبحوا لا يعرفون العربية فإنه لا يقل عن ثلاثين ألف نسمة.

وكلهم من المسيحيين إلا من لا يستحق الذكر في العدد، فمثلاً لا يوجد من أعضاء النادي إلا ثلاثة مسلمين من الأعضاء المؤسسين، وقد أخبرونا أن هذا المطعم أنشئ من أجل خدمة أعضاء النادي وضيوفهم، وليس من أجل البيع.

المؤلف يتحدث في مأدبة الغداء في النادي العربي في (سان سلفادور)

أما الطعام نفسه، فإنه كان عربي الأصل، حيث يشتمل على حمص وتبولة ومحشو ورق العنب وملفوف وغير ذلك، إلى جانب طعام سلفادوري معروف.

وبمناسبة الطعام وكونه عربياً قال الدكتور: إن المسيحيين الفلسطينيين قد عاشوا بين المسلمين قروناً متطاولة، ولذلك نجد أن تقاليدهم في الطعام واللباس تكاد تكون هي التقاليد الإسلامية.

بحث الأمور الإسلامية:

عدنا إلى بحث الأمور الإسلامية على مائدة الغداء مع الدكتور ارماندو بقيلة، فذكر من بين ما ذكره أنهم لم يتسلموا أية معونة مالية من الخارج إلا ألف دولار قدمها أحدهم دون أن يسأله شيئاً. وقال: الجميع يعرفون أنني مسلم، حتى رئيس الجمهورية يعرف ذلك، وعندما انتخبني أعضاء الجمعية الهندسية في اتحادهم الذي يضم (٣٢) ألف مهندس كانوا يعرفون ذلك، أو يعرف به بعضهم. وأنا لا أخفي إسلامي بل أعلنه. وقد نشرت الجرائد إعلانات لي عن فتح المركز الإسلامي، ولم يعارض أحد في ذلك. وأنا لا أجعل لأحد حجة في المعارضة. فدعوتنا دعوة ودية تنشد اقتناع

الشخص بالإسلام، ومن يقتنع بالدخول في الإسلام لا يستطيع أحد أن يرده عن ذلك، كما أن جميع أعمالي داخلة تحت دائرة القانون المعمول به، وهو ينص على أن الإنسان حر في اعتقاده واعتناقه الدين الذي يريد.

والدكتور المهندس متحمس وسريع الكلام، ولكنه ذو أفكار مرتبة متزنة.

وقد قدمت له مساعدة رمزية من رابطة العالم الإسلامي رمزاً لإعجابنا بعمله، وبأننا نرى تعضيده على هذا العمل العظيم وهي خمسة آلاف دولار أمريكي مساعدة للمركز الإسلامي، وألف دولار للأخوين العاملين فيه، فأعجبه ذلك وقال: لن نصرف هذه الآلاف الخمسة من الدولارات للمركز، لأنه لا يحتاجها الآن، وإنما سنضعها في حساب لتأسيس أول مسجد في العاصمة (سان سلفادور)، فقلت له: هذه مساعدة رمزية قليلة، وسوف نرسل لكم إن شاء الله مساعدة مجزية على بناء المسجد عندما تبدؤون العمل في بنائه، كما أننا نرجو أن تكون زيارتنا هذه فاتحة لتعاون مثمر واسع بين الرابطة وبينكم، وإنني أدعوكم باسم رابطة العالم الإسلامي إلى زيارة الرابطة في مكة المكرمة وأداء شعائر العمرة، أو إلى أداء مناسك الحج ضيفاً على الرابطة، فشكر ذلك كثيراً.

مغادرة السلفادور:

داهمنا الوقت فأسرعنا الخروج إلى المطار للسفر إلى هندوراس يصحبنا إليه الدكتور بقيله وعدد من الإخوة المسلمين، حيث سافرنا في الساعة الخامسة عصراً إلى (هندوراس).

والحديث عن هندوراس ومن بعدها نيكاراجوا في كتاب آخر من سلسلة الكتب عن الرحلة في هذه البلاد الأمريكية الوسطى.

والله المستعان.

الفهرس

المقدمة: ١٥
من مطـــار قواتيمالا إلى مطـــار
السلفادور: ١٧
الغابة الخضراء: ٢١
البحيرة الخضراء: ٢٤
ذكريات من مطار السلفادور: ٢٦
بيبين يفتي بيليز ٢٧
موقعها: ٢٩
لمحة تاريخية: ٢٩
قدوم العبيد: ٣١
الوضع الدستوري لبيليز: ٣١
العمل السياسي والحكومي: ... ٣٢
العلاقات مع الدول الإسلامية: ٣٣
السكان في بيليز: ٣٣
العرب في بيليز: ٣٥
المسلمون في بيليز: ٣٦
دخول الإسلام: ٣٧
الفعاليات الإسلامية: ٤٠
المدرسة الإسلامية: ٤٠
الاقتصاد: ٤١
في مطار السلفادور: ٤٢
إلى مدينة بيليز: ٤٣
في مطار بيليز: ٤٥
استعمل الحمام قبل الجوازات: ٤٥
أنحن في إفريقيا؟ ٤٧
مرج البحرين: ٤٨
في مدينة بيليز: ٤٩
النظرة الأولى: ٥٠
اللجوء إلى الفندق: ٥٤
نصيحة عجوز: ٥٥
جولة في مدينة بيليز: ٥٦
سكان بيليز: ٥٦
شارع العرب: ٥٧
مقر الحاكم العام: ٥٨
على شاطئ البحر: ٥٩
هدية الشعب اللبناني: ٦١
شارع الملكة: ٦٣
أكبر مبنى يملكه عربي: ٦٤
مكانة العرب في بيليز: ٦٥
حي بوليفرز: ٦٦
مسجد بيليز: ٦٧
صلاة المغرب: ٧١
مسلم قديم: ٧٣
أمير الجماعة الإسلامية: ٧٤
الصباح والظهيرة: ٨٠
السفر إلى العاصمة: ٨٠

الصباح والظهيرة: ٨٠
السفر إلى العاصمة: ٨٠
المدرسة الإسلامية: ٨١
إلى العاصمة: ٨٤
ريف بيليز: ٨٤
يكرهون الإضافة إلى الموز: ٨٥
مهاجرون من تايوان: ٨٦
قرية هاتي بين: ٨٧
اللغات في بيليز: ٨٨
المزرعة العربية: ٩٠
قرية شجرة القطن: ٩٤
هذه هي بل موبان: ٩٥
في وزارة الخارجية: ٩٧
الأمين العام لوزارة الخارجية: ٩٨
مقابلة وزير الخارجية: ٩٩
عود إلى الأرض العربية: ١٠٢
العودة إلى مدينة بيليز: ١٠٣
مغادرة بيليز: ١٠٥
السلفادور ١٠٧
قبل اليوميات السلفادورية ١٠٩
العرب في السلفادور: ١١٤
المسلمون في السلفادور: ١١٦
اليوميات ١٢٥
من بيليز إلى سان سلفادور: .. ١٢٧
في المطار السلفادوري: ١٢٨
من المطار إلى العاصمة: ١٣١
مدينة سان سلفادور: ١٣٣
صباح السلفادور: ١٣٦
إلى المركز الإسلامي: ١٣٩
قصة المركز الإسلامي: ١٤٠
النتيجة العظيمة: ١٤٢
عود إلى المشاهدات: ١٤٣
جولة في السلفادور: ١٤٧
حديقة سيمون بوليفار: ١٤٧
تمثال السلفادور: ١٤٩
بلاد الثورات: ١٥١
حي سان فرانسيسكو: ١٥٢
سبب الزحام: ١٥٢
نصب السلام: ١٥٣
الصعود للجبال الخضر: ١٥٤
المطعم القرطبي: ١٥٥
باب الشيطان: ١٥٦
الناظر: ١٥٩
في مناطق الهنود: ١٦٠
جبل الأمير: ١٦٢
إلى قمة الجبل: ١٦٣
فواكه الغابة: ١٦٤
العودة إلى سان سلفادور: ١٦٧
في المركز الإسلامي ثانية: .. ١٦٨
يصلي قبل أن يسلم: ١٦٩
استئناف الجولة: ١٧١
حي الصفيح: ١٧٢
الصعود إلى الجبال...أيضاً: .. ١٧٣
قرية بانتي مالكو: ١٧٤

الخالدية: ١٧٤
فرصة تنتهز: ١٧٥
بناء الأندلسيين: ١٧٨
منتزه الحرية: ١٨٠
مثل من الضياع: ١٨١
ومثل من الفتح: ١٨٢
المسلم الجديد والمسلم القديم: ١٨٣
مع الدكتور أرماندو: ١٨٤
العناق بعد الصلاة: ١٨٦
إلى النادي العربي السلفادوري: ١٨٦
بحث الأمور الإسلامية: ١٨٨
مغادرة السلفادور: ١٨٩
الفهرس ١٩٣